المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الجاحظ - الجمهورية العراقية

المجلد التاسع - العدد الأول - ١٤٠٠ - ١٩٨٠

1

WWW.ATTAWEEL.COM

أسماء الكتب محمد

الصافي كما عرفته

بقلم

سلمان هادي الطعمة

كربلاء ـ الجمهورية العراقية

السيد احمد الصافي النجفي من اشهر شعراء الوطن العربي ، ومن اصدق الشعراء تصويرا واخلاصا لفنه . يرقى بنسبه الى ارومة عربية خالصة تنحدر من سلالة السيد عبدالعزيز بن السيد احمد جد اسرة آل السيد الصافي . والسيد عبدالعزيز هذا ذو اصل عربي علوي ؛ فأسرته قدمت من الحجاز واستوطنت جوار البصرة ؛ وهي امارة الشيخ خزعل ، ثم قطن قسم منها الفلاحية والدورق والحويزة ؛ وعرفوا هناك بآل ابي شوكة ، وينتهي نسبها الى الامام علي بن ابي طالب(ع) ، فهي اسرة علوية طاهرة الغرس ،كريمة المحتد :

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم
مثل النجوم التي يسري بها الساري

اما نسبه كما تنص عليه شجرة آل الصافي كالاتي :

السيد احمد بن علي بن الصافي بن محمد بن احمد بن عبدالعزيز بن احمد بن الحسين بن حردان ابن حسان بن موسى بن محمد بن احمد بن راشد ابن ثامر بن منيع بن سالم ابن فاتك بن هاشم بن هشيمة بن فاتك بن علي بن سالم بن علي بن صبره ابن موسى المصيم بن علي بن الحسين بن علي الحواري بن الحسن الثائر بن جعفر بن الامام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام علي بن الامام الحسين بن الامام علي ابن ابي طالب عليهم السلام[1] .

مولده ونشاته :

ولد الشاعر في النجف سنة ١٨٩٧م ـ كما حدثني بذلك ـ وفي سن الخامسة من عمره ادخل الى الكتاتيب حيث حفظ القرآن الكريم ؛ ثم اخذ يدرس العلوم القديمة كالنحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان واصول الفقه ، وقضى في دراستها ثمان سنوات حتى بدأت الحرب العامة ؛ فأصابه ضعف عصبي منعه عن متابعة الدرس ؛ فاخذ يطالع للتسلية ، وانصرف للادب والصحف والمجلات ، ومنذ سنة ١٩١٤ الى الان وهو يلاحق الفكرة الجديدة ، ويجمع بين الثقافة القديمة والحديثة[2] .

نشأ محبا للعلم ، وتعلم في مدارس النجف واخذ على علمائها على الطريقة القديمة ، فقد تتلمذ على السيد حسين الحمامي والسيد ابو الحسن الاصفهاني[3] . وتلقى اللغة وعلوم العربية على مشايخها ، فاخذ عنهم حب العربية ، وصافحت عيناه اكابر القوم وعلماءهم ، وبدأ يقرض الشعر وهو في العاشرة من عمره ؛ واولع بكتب الادب قديمها وحديثها ، فاكب على مطالعتها ، ساعده على ذلك وجود مكتبة اسرته ؛ وبخصوص هذه المكتبة فقد وصفها احد الادباء فقال : مكتبة السيد عبد العزيز بن السيد احمد احد اعلام عصره وجد اسرة آل الصافي اليوم ، وقد حصل على كتب ثمينة نادرة وهي لا تقل اهمية عن سائر المكتبات المتقدمة اذ انه استطاع العثور على ذلك اثناء سفره للهند

(١) اورد هذا النسب ايضا الاستاذ تركي كاظم جودة في كتابه « احمد الصافي النجفي حياته وشعره » ص ٢١ .

(٢) اعلام الادب والفن / ادهم ال جندي ج ٢ ص ٢١١ .

(٣) تاريخ الشعر العربي الحديث / احمد قبش ص ٢٥٥ .

واتيانه بالنوادر والنحف(٤) . وهناك صقلته التجارب وعمل فيه النبوغ ؛ فامتلأ حكمة وفلسفة ؛ واصبح شاعرا لا يجارى في رقة اسلوبه وسلاسة معانيه وجزالة لفظه ؛ لا تجد في شعره تعقيدا ولا تكلفا ؛ فقد اغنى الشعر العربي بالقصائد الغرر من حيث الاسلوب ومعالجته للموضوعات .

لقد كان الصافي من مجددي الشعر العربي ورجال النهضة والحركة الفكرية . كما كان اجتماعيا مجددا معبرا عن ميول الامة العربية وآمالها . وفي عام ١٩١٨م غادر الشاعر مسقط راسه الى البصرة، ثم الى المحمرة ومنها الى عبادان ، بعد ان ارتدى اللباس الذي احضره معه ؛ حيث اخذ يبحث له عن عمل ولكن دون جدوى ؛ اذ لم ينل بغيته ؛ فترك عبادان واستقل سفينة شراعية متجها واياها نحو الكويت(٥) . هنالك في الكويت مارس البناء فاشتغل نهارا كاملا وهو يحمل الطابوق تارة ويغربل الجص اخرى ؛ ولفحات الشمس تلهب وجهه ؛ واوامر (الاسطة) الشديد اللهجة تهز كيانه ، وما كاد ينتهي ذلك اليوم حتى شعر بنفسه اوشكت ان تسقط من شدة التعب ولكنه تدارك الامر وترك العمل قبل استلام الاجرة ومن جراء عمل هذا اليوم وقع مريضا في الفراش وقد شلت حركته حتى لم يعد يقوى على السير ولما ابل من مرضه غادر الكويت واتجه نحو (ابي شهر) المرفأ الفارسي(٦) . ومنها غادر الى شيراز فاستقر فيها فترة من الزمن ؛ ثم قصد طهران والقى فيها عصا الترحال ؛ واغتنم فرصة وجوده فاخذ يتعلم اللغة الفارسية ويدرس الادب الفارسي ؛ وبعد ستة اشهر عين استاذا لتعليم الادب العربي ؛ وبعد سنة قضاها راى التدريس يضعف من صحته ؛ فاستقال واخذ يتمرن على الكتابة بالفارسية ؛ وبعد اشهر صار يكتب ويترجم في امهات الصحف الفارسية(٧) . وكان خلال هذه الفترة يغشي نوادي الفرس الادبية ، ويتصل بادباء العجم وشعرائها ؛ وقد اسهم هناك في تحرير بعض الصحف الايرانية ، فاتقن بذلك اللغة الفارسية اتقانا تاما وبرع في آدابها ؛ لذلك اقدم على ترجمة رباعيات الشاعر الفارسي عمر الخيام ؛ فجاءت آية في الابداع وتحفة ادبية ثمينة يحرص عليها قراء الادب ويعتز بها ادباء العربية وذلك لما في هذه الترجمة من المميزات كالمتانة الشعرية والتعبير عن اغراض الشاعر بكل دقة . وكانت نتيجة ترجمته الصافية ان فلد النادي الادبي في طهران وسام عضويته تقديرا لكفاءته(٨) .

ترك الصافي ايران بعد ان مكث فيها ثمان سنوات ، عائدا الى العراق وذلك بطلب من حكومته ومن اصدقائه ، ولدى وصوله الى العراق رات الحكومة ـ وكان وزير العدل آنذاك داود الحيدري ـ تعيينه قاضيا في بلدة الناصرية ولكن حر العراق الشديد ومرض الدوسنطاريا الذي كان يحمله من ايران هجما عليه فوقع طريحا في الفراش(٩) . فلم تطب له الاقامة في العراق غير ثلاث سنوات وهو يصارع المرض . فتوجه قاصدا سوريا ولبنان ليقضي هناك بقية العمر في احضان الطبيعة الساحرة ويتنقل بين مصايفها ومحايا حياة وادعة . ورب سائل يسأل : كيف كان يعيش الصافي ؛ وهو لا يملك من دنياه ثروى نقير ؟ فاجيب انه كان يعيش على ما تدر عليه قصائده التي كان ينشرها في الصحف والمجلات العربية ، وكان يكتفي بكسرة خبز وجرعة لبن وينام على سرير محطم ابلى من شوك القتاد ؛ يقضي عليه مضجعه ؛ ويلتجيء الى الفنادق الشعبية وهو يتنقل بين دمشق وبيروت .

وفي عام ١٩٤١ زجته السلطات البريطانية عند دخولها لبنان في السجن لناصرته ثورة مايس ، وقد اوحى السجن بديوانه الشهير (حصاد السجن) وبالرغم من ابتعاده عن العراق سنين طويلة جاوزت الاربعين عاما ؛ فانه كان دائما يتغنى به ويحن اليه ؛ وقد قال من قصيدة له :

ان البلاد كما الحسان تفاوتت
حسنا وان عروسها بغداد
فيها الليالي كالنهار نضارة
وكانما ايامها اعياد

والصافي يؤثر شرف النفس ، والاعتزاز بالمثل العليا ، ويبتعد عن لذائذ الدنيا ومفاتن النفس وبهرجتها ، وعزوفه عن هذه الدنيا الطافحة بالشرور والآثام .

وهكذا قضى الصافي حياته في تلك الربوع بين مرض طويل ، وعلل متلاحقة صحبته الى اخر نفس من انفاسه .

---

(٤) مجلة الغري / النوادر المخطوطة في النجف بقلم : علي الخاقاني ـ السنة ٢ العدد ٧٧ و ٧٨ آب ١٩٤٠ .
(٥) احمد الصافي النجفي حياته وشعره / تركي كاظم جودة ص ٢٩ .
(٦) المصدر السابق ص ٢٩ .
(٧) اعلام الادب والفن / ادهم آل جندي ج ٢ ص ٢١٢ .
(٨) شعراء العراق المعاصرون / غازي الكنين ج ١ ص ٢٧ .
(٩) اعلام الادب والفن / ادهم آل جندي ج ٢ ص ٢١٢ .

وتقديرا لمواقفه وشاعريته وضمن الاهتمام والدعم اللذين توليهما القيادة السياسية للحزب والثورة للمعرفة والادب والثقافة ، خصصت حكومة الثورة للفقيد راتبا تقاعديا منذ عام ١٩٦٨م . وكان الشاعر قد عاد الى بغداد في التاسع عشر من شباط عام ١٩٧٦م استجابة لالتفاتة كريمة من لدن السيد الرئيس احمد حسن البكر لغرض مواصلة علاجه في مدينة الطب بعد اصابته خلال الاحداث الاخيرة الدامية التي شهدها لبنان حيث كان يعيش . ترك الصافي لبنان ناجيا بنفسه من غضب الاحتلال ، وكان لعودته اليه اثر في احاسيس المفكرين والشعراء على الرغم من ملازمة المرض له ؛ عاد سالما من رصاص العملاء في بيروت ، وكم كان الشاعر يحب بغداد ويحن اليها ويذوب شوقا وحنينا لرؤيتها :

يا عودة للدار ما اقساها
اسمع بغداد ولا اراها

واخيرا وافاه الاجل يوم ٢٧ حزيران ١٩٧٧م الموافق ١٠ رجب ١٣٩٧هـ .

شاعريته

الصافي شاعر رقيق ، مجدد في تفكيره ، محلق في خياله يأخذ شعره بمجاميع القلوب ، ويتغنى به الشباب المثقف في مختلف الاقطار العربية ، لما فيه من سليقة عربية متينة وذوق حسن سليم وتنهدات ملتهبة وانفاس مؤججة مستعرة ، وهو ذو ديباجة مصقولة وطراز فريد بين شعراء المدرسة الحديثة الذين استمدوا عناصر تفكيرهم وتعبيرهم من مناهج التراث الشعري الاصيل ، وخرج من تقاليد المدرسة الكلاسيكية وعمودها الشعري الموروث .

وقد مثل الصافي الشاعر المبدع الذي استطاع ان يقتحم ميادين الشعر بأفكاره التي لا تنضب ، وآرائه المتجددة وتجاربه الذاتية الخلاقة التي نهج بها دواوينه ومقطوعاته الشعرية الجميلة التي تمثل عالمه الخاص . يقول غازي الكنين : « تقرأ شعره فتشعر بأنك تنسلخ عن عالم المادة وتسمو فوق ذاتك البشرية ، انه خمرة تسكرك فلا تؤذيك ، تسكرك فتزيدك نهما وتجربة وان كانت الخمرة تسلب شاربها الحلم والراي والحجا ، وانت اذا اسعدك الحظ ، وحالفك وجالست هذا الشيخ الجليل الذي ينوء كاهله بما حمل من عبء الليالي ، فتتجلى لك مواهب السيد الصافي وكأنك امام الطبيعة الساحرة الطاهرة من ادران المجتمع وضلالات المدينة وزحام المادة الخانق[١٠] » .

صدرت له عشر مجاميع شعرية واردفت بخمس مجاميع اخر حافلة بفرر المنظومات الرائعة او طرق جميع الابواب الشعرية فأجاد فيها .

ويمتاز شعر الصافي بخصائص قل ان نجدها عند غيره من الشعراء ، تراه في بعض القصائد مسترسلا بالمداعبات اللطيفة ، والملح الطريفة ، وتراه يصور مشاهد البؤس في اصدق صورة ، تجد في شعره وحدة القصيدة وندرة الموضوع وتحليله لعواطفه وتشاؤمه وشعوره بالظلم شعورا حيا . طرق الفلسفة والحكمة ووصف الطبيعة والهجاء والسخرية والهزل ، وله فيها قصائد فريدة ، وهو لم يحجم عن وصف البرغوث والبعوض والبق والفار والنمل والعنكبوت ، كما وصف الشاي واوانيه في قصيدة ترجمت الى اللغة الانكليزية والايرانية ، الى غير ذلك من الموضوعات الغريبة . ويجد القارىء في شعره غنى بطاقته الفنية واصالته الراسخة ، فهناك الكلم الفصل والحكمة الخالدة في البيت الواحد والبيتين المزدوجين والقطعة المحدودة ، وكل آثاره الادبية التي تركها تناولها مختلف النقاد بالدرس والتحليل . تغرب عن الوطن ، وبقي قانعا في دار غربته يعيش عيشة الوحدة والكفاف ، ينتابه المرض والفقر والاخفاق ، وهو راض بهذه الحياة المضنية التي اختارها لنفسه ، وكانت مصدر هذا القلق والتشاؤم الذي يبدو في آثاره الشعرية ، لكنها حياة منزهة عن كل مذلة وخضوع ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على شمم الصافي وإبائه وعزة نفسه ، وما احسن قوله وهو يصف هذه العناصر الغريبة بروح سقيمة وهيكل سقيم :

غلاء واقلال وسقم وغربة
وفقد أعزاء وحرب واهوال
وخيبة آمال ودهر معاكس
واشياء فيها يتعب القيل والقال
ومن عجب اني على تلك رابض
كأن الشقا غاب كأني رئبال

ساهم في القضايا التي خاضتها الامة العربية ، واخذ يردد اشعاره في مواصلة الجهاد والتغني بقوميته وعروبته ، يقول في قصيدته (انا عربي) :

---

(١٠) شعراء العراق المعاصرون / ج ١ ص ٢٨ .

تساءلني هند عن نسبتي
فقلت الى المعدن الفاضل
انا عربي .. وحسبي بدا
جوابا يعظمه سائلي
وان رمت يا هند شرحا لما
أشرت له من علا شامل
فآبائي الصيد من هاشم
واخوالي الغر من عامل
أوحد سورية بالعراق
واجمع لبنان في بابل
ولي في فلسطين ماض علا
وآمال مستقبل حافل
ولي نسب جال في الكائنات
ومن عامل سار في عاهل
تولد قدما بأرض الحجاز
وحل محمرذ الساحل
والقى عصاه بارض العراق
ومنبت كل فتى باسل
سيبقى يطوف الى ان يقيم
على ذروة الوطن الكامل

وقال من قصيدة عنوانها (تكسير الاصنام) وفيها دعوة صريحة الى الشعب العربي للوقوف بوجه المستعمر المحتل :

اهلا بسجني لشهر او لاعوام
فانما يوم سجني تاج ايامي
قضيت حرا حقوق السجن كاملة
واليوم في السجن اقضي حق اقوامي
ان يسجنوني فجرمي يا له شرفا
اني احارب قوما اهل اجرام
محمد كسر الاصنام شامخة
من لي بتكسير (الوردات) كأصنام
يكفيهم حطة ان ليس يتبعهم
من سوء كل منحط ونمام

وهاهو الصافي ذو الاحساس المرهف والوجدان المتقد يكشف للقارىء سعة فكره في قصيدته (الليل والنجوم) فانك تراه قد شبه الجو بالبحر والظلام امواجه ، والارض سفينة تمخر في ذلك البحر المتلاطم الامواج الذي جعله من ساحله الفجر وحبلها جاذبية الشمس والقمر للارض :

تجرها في الجو جاذبية
مارث يوما حبلها وما خلق
تجري ولا توسي ولا ربانها
يعجزه طول المسير والارق

الصافي شاعر ملهم وفيلسوف حكيم ، تهز اغاريده العواطف الراقدة وينحسس لالام شعبه ويدرك واقعهم الفاسد . وهذه خواطره اللطيفة وروائعه الشعرية فيها من صدق في التعبير وروعة في التصوير تجلي للقارىء نفسية الصافي على حقيقتها وصفاتها ونقائها :

يا قوم ما لي مشكل معكم
لقد فتمنا وانتهى الامر
لكم التمار تباع والنجة
ولي المروج الخضر والزهر
ولكم سفائنكم محملة
في البحر ماخرة ولي البحر
والقصر لي منه مناظره
ولكم اثاث القصر والقعر
ولكم مدينتكم وما ضمنت
ولي النسيم الحلو والعطر

وهو يرى داء المطامع متاصل في نفوس المستعمرين الذين يلعبون بمقدرات هذا الشعب وهذه البلاد فيقول :

يا من جهلت من الاوطان قيمتها
ادخل حمى الليث تعرف قيمة الوطن
ما ذقت اذ خنت للاخلاص لذته
ومن يذق لذة الاخلاص لم يخن
سعى العدو لنزع الروح من وطني
ماذا انتفاعي بعد الروح بالوطن

والصافي مرآة ناصعة لا تشوبها شائبة ، فقد كان شعره روحا نقيا خاليا من الدنايا ، مليئا بالعزة والكرامة ، وقنع من دنياه كقوله :

قنعت من الدنيا بدنيا هواجس
وعشت بفضل الوهم في عالم سحري
اغذي جليسي من وساوس فكرتي
واسكن ضيفي في بيوت من الشعر

ويصور الشاعر نفسه ويظهرها على حقيقتها في تصوير رائع لواقع الحياة التي يحياها ، ولعل ابلغ سمو ارتفعت نفسه الابية وشممه واباءه مع حاجته الى المادة وعزوفه عن المال ، فهو القائل :

عظيم ولا جـــم يعيبه ولا عقـــل
فلم ادر من اين المناقب لي فضـــل

عظيم بآمالي وســامي مطامحـــي
واني صحيح القصد والجسم معتـــل

عظيم باشـفافي وعطفـي على الـورى
واني اهـل للقتل اذ ليس لي اهـــل

عظيم بهـزئي بالنـــوائب جمـــة
وكوني ضحوك السن والعيش مختـل

عظيم بانـي لا احـــس بوحشـــة
ولو عقني دهري وقاطعني الكـــل

عظيم بانـي في صـــراع مع الضنى
مع العيش لا زندي نكل ولا الرجـــل

عظيم بانـــي لا اذل بحـــادث
وان طريقـي رغم وعـر لمنى ســهل

عظيم بانـي لا احـــس بحاجـــة
وان كنت لا عـل لـدي ولا نهـــل

عظيم بان الشعر عنـدي رســـالة
فلم تبتـذل يومـا وان عظيم البـــذل

عظيم بان انفس عنـدي بحالهـــا
فلم يعلبـــا علم ولا حطبـا جهـــل

فذلك من اسرار نفسي ومـا اختفـى
ساجلوه يوما حين يكشـفه العقـــل

وهو فضلا عن ذلك يرفع صوته عاليا مدافعا عن حقوق الشعب ولا يخشى بذلك لومة لائم :

خدعوا الشعب ثم اردوه ميتـــا
فحرى مثل اختها في قيـــاس

ساسة الغرب تخدع الخصم لكن
خادع الشعب في بلادي ســياسي

كيف يرجو الشعب الوديع امانا
من نفوس ريت على الافتـــراس

وقال يهزأ بالبرلمان :

قال لـــي صاحبي حلم الـى المجـــ
ـلـــس فاليوم اعظم الجلســـات

قلت بالامـــس زرته وفـــؤادي
مفعـــم منـــه في اذى الذكـــريات

قال كـــرر له الـــروح لتلقـــى
لك سلوى عن هـذه الازمـــــات

قلت هيهـات لا اعـــود فحـــبي
رؤية المـــوت مـــرة في حيـــاتي

والصافي بجيد الشعر في صياغة ممتازة فريدة يتجلى فيها الفن الرفيع ، وتزدحم في شاعريتـــه العواطف المتلظية ، وكان اسبق الشعراء تأثرا بما جد من افكار ، دعا الى التجديد في الشعر فملأ الاجواء عطرا واشاع نورا . لم ينحدر بشعره الى الاسفاف والضعف ، ولم يعبر الا عن نفس صادقة مؤمنة بما يقول . فهو يتحسس آلام البائسين ، لانه عاش بائسا ، ولكنه كبيرا ، وهنا يصف الشاعر طفلة ترتعد فرائصها من البرد ، وهي تدخل احدى مقاهي دمشق ، وتقف على رؤوس الناس تسألهم بحياء وخفر ، فينهرونها ، وكان الصافي قد ثار لهذا المشهد البائس ، فقال :

جـاءت تكفكف دمعـة عبـــرى
تشكو الضنى والجـوع والفقـرا

جاءت تكفكف سيل ادمعهـــــا
بيد وتسأل باليد الاخـــــرى

تهتـــز من برد ومقلتهـــــا
للحزن تعطي شعلة حمـــــرا

جاءت لتشكو جوعهـــا ومضت
تشكو الورى والجوع والزجـرا

جـاءتهم والعـــين دامعـــة
منهـا وعـادت منهم عبـــرا

ومن يتصفح مجاميعه يلمس فيها يقظة شاملة، وتبلورا في الافكار ، وتحسسا بالبساطة والرقة وخفة الروح ، حيث يجسد الشاعر البؤس والفقر المدقع وصور المرض والجوع ، فالقرية البائسة والكـوخ المظلم والفلاح المكدود صور من المجتمع الانساني ، وعناوين بارزة في شعره . اسمعه مخاطبا الفلاح في قصيدته المشهورة :

رفقـا بنفســـك ايهـــا الفـــلاح
تسـعى وسـعيك ليس فيه فـــلاح

لك في الصبـاح على عنـائك غـــدوة
وعلى الطـوى لك في المســـاء رواح

هذي الجـــراح براحتيـك عميقـــة
ونظيرهـــا لك في الفـــؤاد جـــراح

في الليل بيتـك مثل دهـــرك مظلـــم
ما فيه لا شـــمع ولا مصبـــاح

فبخر ســقفك ان همت عين الســـما
ويطـــير كوخـــك اذ تهب ريـــاح

حتى الحمـــام عليـك رق نواحـــه
فلـــه بحقلـــك رنـة ونـــوح

هذي ديونك لم يسدد بعضها
عجزا فكيف تسدد الارباح ؟
بفضون وجهك للمشقة اسطر
وعلى جبينك للشقا الواح
عرق الحياة يسيل منك لآلئا
فيزان منها للغنى وشاح
اتصد جيش الطامعين ولم يكن
لك في الدفاع سوى الصياح سلاح !

ان اهم ما يمتاز به شعره الدقة في الوصف والخصوبة في الخيال والظرف والنكتة ؛ فهو وصاف بارع ذو باع طويل في هذا الميدان ؛ ومن وصفه الذي ينفرد به قوله يصف النجوم :

كأن ساقط النجوم أرقم
قد ساب في بحر الظلام وانطلق
او كقذيفة رماها مدفع
او هو كالسهم من القوس مرق
او لهب في فحمة الليل سرى
او هو جيب للدجى قد انخرق
او سطر نور خط في لوح الدجى
او هو ميزاب من الضوء انهرق
او هو قرن الشمس ناطح الدجى
او هو سيف لحشا الظلماء شق
او رمح نور طعن الظلام او
نهر من الانهار في الليل اندفق
او كعمود الفجر لاح قارعا
جبين زنجي الظلام فانفلق
او عمد يرفع خيمة الدجى
او هو ساق العرش في الليل برق

ولعل وصفه البرغوث في ليلة شتائية ، ينقلنا الى صور البهاء زهير الذي عرف شعره بالسهل الممتنع ؛ فشعر الصافي لهو من السهل الممتنع حقا ؛ حيث يقول :

اكافح البرد في سراج
يكاد من ضعفه يموت
في غرفة ملؤها ثقوب
او شئت قل ملؤها بيوت
يسكن فيها بلا كراء
فار وبق وعنكبوت
للفار من ماكلي غذاء
والبق جسمي لديه قوت
واعتزل العنكبوت امري
وفي بقاه معي رضيت
مشتغل بالنسيج عني
يبني شباكا بها حميت
فكم بها صاد من ذباب
قد كنت في امره عبيت

والصافي لا يستقر في مكان معين ؛ فنجده يتنقل كما شاء له الهوى ؛ وهذا مشهد من بين تلك المشاهد الحلوة في اخريات ليالي القمر ؛ حيث يصف الصافي بعض الحسان في (بقين) ذلك المصيف السوري الممرع ، وهن يتناوبن للعودة الى دمشق ؛ لان القمر اوشك ان يشرف على المحاق :

رب بنيات يمسن في الحبر
فواتن يذوب فيهن النظر
بهن قد راق الاصيل والسحر
وطاب منهن الحديث والسمر
وحرم النوم وحلل السهر
يقصدن (بقين) اذا البدر ظهر
ويستترن كلما البدر استتر
يقلن : فلنعد فقد غاب القمر
اهذه الاقمار تحتاج القمر ؟

وهناك في زحلة ، حيث يحس الصافي بجمال الطبيعة ؛ فيصف هذه المباهج ، وقد لا يكون ذلك غريبا لانه صادر عن شعور رقيق ونفس شفافة يهزها الجمال وتطربها النغمة الموسيقية ، اسمعه يقول :

ازحلة عم فيك الحسن حتى
لتغلو فيك اسعار الرسيم
توزع فيك قلبي دون جد
لما تحوين من حسن عميم
ارى واديك ممتلئا بحور
فهل واديك جنات النعيم ؟
وهل بنسيمك المعتل خمر
فاني قد سكرت من النسيم ؟
فيا وادي العرائس انت واد
يفر لك الفؤاد من الهموم

هكذا كان الصافي بارعا في رسم الصور والمشاعر والالوان ؛ له ذوقه الفني الرفيع ، ومقدرته على صياغة الالفاظ ؛ وجمال الاداء ، وحسن الديباجة .

لاول وهلة كان لقائي بالصافي في بيروت خلال ايام ١٥ ــ ١٩٧٤/٧/١٨م في مقهى البحرين المطلة على البحر . فوجدته الى جانب شخصيته النادرة ، سيرة ملئت بالفضائل والذود عن حياض الوطن والثورة على التقاليد البالية والعادات المستهجنة ، فانست بأحاديثه التي لا يمل منها السمع . وكان محدثي قد استرسل في ذكريات ادبية وسياسية له تعود الى سنين خلت ، وهي ذكريات طريفة لم تنشر سلفا . وبدا يقول :

اول من فكر بالدراسة عني (اديب التقي البغدادي) مؤلف كتاب (الشريف الرضي حياته وآراؤه من شعره) اخذ فيه الدكتوراه من الجامعة المصرية ، توفي رحمه الله . كان ذلك في سنة ١٩٢٢ حيث اتيت دمشق للاستشفاء ، وكنا جالسين في مقهى بشارع بغداد ، وكنت جالسا مع اديب التقي ، وكان معنا رهط من الادباء السوريين ، فانشدتهم ثلاثة ابيات جاءتني في ذلك اليوم ، فالتفت اديب التقي وقال : «ان الصافي سيتعب المؤرخين من بعده» ثم قال : « المعري لم يكن فيلسوفا ولكن له آراء الحقته بالفلاسفة ، والصافي كما يظهر من هذه الابيات له آراء تلحقه بالفلاسفة ، وانا اشعر ان من الواجب علي أن اعمل دراسة عنه في حياته لاستمد معلومات منه . » اما الابيات فهي :

استلذ الحزن المذيب كما قد
لذ للسامع الغناء الشجي
ان للحزن سكرة كالحميا
خص في نيلها الفؤاد الذكي
سكرة الحزن تملأ القلب وحيا
فهل الحزن للقلوب نبي ؟

بعدها تعرف بي سليم خياطة ، وهو مولود في امريكا ، وكان يدرس الحقوق في دمشق ، وهو مؤلف كتاب (حميات في الغرب) و (الحبشة المظلومة) وصاحب مجلة (الدهور) العظيمة التي كانت تصدر في بيروت . واول معرفتي به قال : انا ساعد دراسة عنك ، وبعد مضي فترة سافر الى بيروت ، واصدر مجلة (الدهور) وهي مجلة المثقفين وكتب مقالا عن ديواني (الامواج) بدأه بهذه الكلمات (تحترق مليارات الذرات من الفحم الحجري حتى يتولد منها الماس ، وتتلف مليارات من ذرات الرمال حتى يتكون منها حجر متماسك ينجرف من الصحراء على المدينة ليحطم ما فيها من تقاليد وسخافات . احمد الصافي هو الماسة الشعاعة التي تبلورت من احتراق الحجر المتماسك من الرمل الذي قذفته الصحراء على المدينة ليحطم ما فيها من تقاليد وسخافات» . وبعد ذلك بعشر سنين رآني في مدينته (طرابلس) وقال : ادعوك الليلة بضيافتي في داري ، فاخذني الى بيته ، وبعد ان جلس في الصالون غاب قليلا واحضر كتابا مخطوطا يقع في مئة صفحة تقريبا وقال لي هذا هو الكتاب الذي وعدتك به ، فاستعرضته استعراضا سريعا ، فوجدته يقع في ثلاثة فصول هي :

١ ــ الفصل الاول عنوانه (انصافي والخيام ما تشابها وما اختلفا) .
٢ ــ الفصل الثاني عنوانه (تعزيات انصافي) .
٣ ــ الفصل الثالث عنوانه (الشرقي المثقف) .

واتذكر الفصل الاخير وقد ضم الكلمات التالية : توجد عقول غريبة بنفوس شرقية ، يقول حتى الان قدمت لنا ثلاث شخصيات اولها : المعري وثانيها الخيام وثالثها احمد الصافي . اذ نشر من هذا الكتاب خمس مقالات متسلسلة في مجلة (الافكار) الطرابلسية ، وقد توفي الرجل قبل عشرين عاما ، ولا نعلم ماذا جرى في امر الكتاب المخطوط ؟ .

بعد الحرب العالمية الثانية ذهب الاستاذ بهيج عثمان صاحب دار العلم للملايين الى القاهرة ، وكان انذ ذاك سكرتيرا لمجلة (الاديب) اللبنانية ، وعندما عاد نشر كلمة بعنوان (جولة الاديب في شهر) ومما جاء فيها :

اني زرت عباس محمود العقاد في القاهرة وقال: اني معجب بقصيدة الصافي المنشورة في العدد الماضي من الاديب التي عنوانها (خيال في كأس) ، وقال العقاد (ان هذا شاعر حقا) ثم رآني بهيج عثمان ، وقال لي :

ان العقاد يسلم عليك ويطلب منك ان ترسل اليه دواوينك ، لانه يريد ان يؤلف كتابا عنك ، فسرت ارسل اليه دواويني . وفي اثناء مهرجان احمد شوقي الذي اقامه الرئيس جمال عبدالناصر ، تصفحت مجلة (الاذاعة المصرية) وفيها عنوان ضخم وهو : احمد الصافي النجفي اشعر شعراء العربية باعتراف عباس محمود العقاد ، وتحت العنوان العبارة الآتية : زار مندوب المجلة الوفد العراقي لمهرجان شوقي ، فاجتمع الى الاستاذ ابراهيم الوائلي وسأله عن شعراء العراق ، فقال له هناك شعراء رحلوا وشعراء احياء ، ومن الشعراء الاحياء السيد احمد الصافي النجفي الذي قال عنه العقاد : انه اشعر شعراء العربية .

وفي الصيف الماضي سنة ١٩٧٣ التقيت بالاستاذ ابراهيم الواثلي ، وسألته عن هذا الراي الذي اذاعه، هل سمعته من العقاد ؟ قال لا ؛ ولكني قرأته له في مجلة (الرسالة) المصرية ؛ فنقلته ؛ وبعد ذلك قال لي معن العجلي الاديب العراقي : اجتمعت بالاستاذ عامر العقاد وهو ابن اخ عباس محمود العقاد وقال لي : لقد ترك العقاد كتابا مخطوطا عن الصافي ويقول في اثنائه لا يكفي ان يدرس الصافي اديب واحد ؛ بل يجب ان يدرسه مائة اديب لسعة آفاقه الشعرية ؛ فيجب ان يأخذ كل ناحية ويدرسها .

اما فؤاد الشايب رئيس تحرير مجلة (المعرفة) السورية فقد كتب منذ عشرين عاما دراسة عن الصافي في مجلة (الصباح) الدمشقية ؛ لصاحبها عبدالغني العطري بعنوان (احمد الصافي الذي ستدرس الاجيال العربية دواوينه) والمقال كان في اثنتي عشرة صفحة من القطع الكبير ؛ اي انه استوفى العدد كله ؛ ثم اكمله بصفحة ونصف في العدد التالي وقال في آخره : لقد ابتلعت افكارا كثيرة جاءتني عن الصافي بقصد الاختصار ؛ فالصافي لا يكفي الكتابة عنه مقال او مقالان ؛ وانما يجب ان يؤلف عنه كتاب.

ثم تحدث الصافي عن دواوينه المخطوطة ، مستشهدا بنماذج منها ؛ فقال : طبعت لي عشرة دواوين ، ولدي الآن خمسة دواوين مخطوطة هي :

١ ــ شباب السبعين .
٢ ــ بلا اسم .
٣ ــ كما جاء .
٤ ــ تمرد المشيب .
٥ ــ المطعم .

وهذا الاخير اهم من كل دواويني ، لانه اشتركت فيه آلام المرض ، فصهرت النفس واستخرجت كل ما فيها من عبقرية . وهناك بيتان قلتهما قبل عشرين عاما هما :

انما الشاعر الصحيح غريب
فهو يمشي متمرد اللب حائر
ان رأى شاعرا يفيء اليه
وطن الشاعر الغريب الشاعر

وآخر ما جاءني من شعر وهو من ديواني الخامس عشر هذه الابيات :

مترجم شعري بشعري بدات
واصبحت شاعر شعر زكي
وصيرني وحي رب السماء
نبيا بشعر ولست النبي
تمارين سانت نفتني الفتي
ليصعد بي نحو افقي العلي
يحلق خلفي قوي الجناح
ويبقى الكسير بأفقي الدني
وأبلد قرائي الطالبون
لترجمتي رغم شعري الغني
فترجمتي هي مقياسهم
يحشون منها برقم وطي
ففي الاوج صرت وهم في الحضيض
وصيت (المترجم) غر الغبي

وهناك بيتان سيكونان على غلاف ديواني الحادي عشر (شباب السبعين) وهما :

سني بروحي لا بعد سنين
فلأسخرن غدا من التسعين
عمري الى السبعين يركض مسرعا
والروح ثابتة على العشرين

وذكرت بيتين في ديواني الآخر (كما جاء) هما :

اصغ بالروح تلق بالكون لحنا
لا تعيه آذانا الصماء
عازف الكون مستمر بعزف
ابدي اوتاره الشعراء

* * *

لو صح ان للشاعر فلسفة خاصة مثل ما اعتاد بعض النقاد في اضافة سلوكية الشاعر مرآة سيكولوجية ونظرته في الحياة كأبي العلاء المعري ، والمتنبي ، فنحن نعرض تجارب الصافي مثلا على ذلك ، يقول :

دعا المجمع العلمي العربي في دمشق اللجنة الثقافية المنعقدة في بحمدون (لبنان) الى حفلة شاي ، ودعاني لحضور الحفلة . فسلمت على بعض اعضاء الوفود ، وانتحيت ناحية ، فجاء الاستاذ احمد امين المصري وجلس الى جانبي ؛ ثم جاء الدكتور جميل صليبا استاذ الفلسفة بجامعة دمشق، وجلس معنا . فالتفت احمد امين وقال : «الصافي اوجد شيئا في الشعر مائة سابقة» . وقال جميل صليبا : « والصافي له فلسفة خاصة غير ما نعرف من فلسفات ، وانا لدي دراسة على فلسفته » . ذكرني هذا القول بانه سنة ١٩٣٣ كان الاستاذ وصفي البني رئيس تحرير مجلة (الطريق) كان طالبا في تجهيز دمشق ؛ فجاءني يوما وصفي وقال:

لي : جاءنا اليوم الدكتور جميل صليبا الى الصف، وذكر في اثناء الدرس اشياء فلاسفة في الروح ، ثم التفت وقال : وهنا لاحمد الصافي نظرية فلسفية جديدة في الروح تضمنتها هذه الابيات التي عنوانها ـ اثواب الروح ـ وهي من ديوانه (الاعوار) ثالث دواوين الصافي : اذ يقول :

كل يوم ازيح عني ثوبا
باليا من عقائد الاحقاب
املا ان اعري النفس حقا
من لباس شينها وحجاب
غير اني ان انش ثوبا اصادف
الف ثوب ملاصقا لاهابي
فتراني عشت انزع اثوابا
كاني كونت من الاثواب
صرت اخشى ان انش كل ثيابي
لم اصادف روحا وراء الثياب
فكاني القشور كون منها
بصل ما به سوى الجلباب

جاءني مرة الامير يحيى الشهابي الذي يشتغل الان في اذاعة دمشق ومعه ادیب سوري كان في القاهرة . وهو الذي ترجم كذب (الباب الضيق) لاندريه جيد ، وطبعته دار الكاتب المصري ، وقدم له الدكتور طه حسين . فقلت له : هل عندك كتاب جديد ؟ فقال : نعم ، عندي كتاب مترجم في فلسفة الجمال لفيلسوف ايطالي معاصر ، وهذا الفيلسوف يعتبر اعظم فيلسوف في فلسفة الجمال في العصر الحاضر . فما كان مني الا ان اسمعته اربعة ابيات من مقطوعة عنوانها (الحق فن والفن حق) وعندما سمعها قال : اعطني هذه الابيات ، قلت له لماذا ؟ قال ان البيت الثالث والرابع يحويان خلاصة الكتاب للفيلسوف الايطالي ، قلت اذن ماذا تريد ان تعمل بهما ؟ فاجاب : اريد ان اضعهما في المقدمة ، فقلت له يتهمونني بالسرقة عندئذ ، فقال : سأضع لهما التمهيد اللازم . وهذا يهمني فوميني . وقبل ان اثبت الابيات اريد ان امهد لهما بالكلمة الآتية : اننا نعشق الحق حتى نضحي ارواحنا في سبيله ، فيجب ان يكون في الحق جمال حتى نعشقه . واذا كان في الحق جمال ، فاذن الحق فن ، ولكن الفن الذي في الحق لا تراه النواظر ، وانما تراه البصائر ، اي بصائر الانبياء والاولياء والمصلحين ، وكذلك الفن حق لان فيه كمال ، اما الابيات فهي :

الى الحق ادعو لا لنفسي ان اكن
نظمت قريضي او شرحت خواطري
وما ابتغى من درس شعري دعاية
ولكن (عوينات) لعمش النواظر
واني رايت الحق والفن واحدا
ولكن فن الحق ليس بظاهر
وما الفن كالحق يبدو لناظر
ضعيف الرؤى ، والحق فن البصائر

وعندما مات بروكلمن ، كان الدكتور زكي المحاسني رئيسا لتحرير مجلة (الاحد) الدمشقية فكتب مقالا عنه قال فيه : ان بروكلمن عندما حضرته الوفاة قال للملائكة (الآن انتهى الدرس) فاسمعت الدكتور زكي المحاسني هذين البيتين من ديواني (الاعوار) الذي طبع قبل عشر سنوات :

احاول ان اموت بغير وعي
مخافة رؤية الموت الخطير
ولكني اخاف علي نفعا
يحرماني من الدرس الاخير

فتعجب الدكتور زكي المحاسني من هذا اللقاء بيني وبين بروكلمن ، ثم اعاد كلمة بروكلمن ووضعها مع البيتين فنشرها .

زار دمشق ابو عبدالله الزنجاني منذ عشرين عاما ، وهو عضو في مجمع اللغة العربية بدمشق ، وكانت اطروحته هي دراسة عن صدرالدين الشيرازي ، والتي على اثرها انتخب عضوا في المجمع . وكنت قادما من بلدة (النبك) الواقعة بين دمشق وحمص ، فالتقيت به في احد الشوارع الرئيسة بدمشق ، وكانت بيننا معرفة سابقة في النجف ، حيث كان يدرس هناك ، فاخذني الى فندق يقيم فيه ، فاسمعته قصيدة (النفس والوجود) التي جاءتني قبل ايام في بلدة (النبك) وانا في حالة استغراب غريبة ، والقصيدة موجودة في ديواني (الاعوار) وعندما انتهيت منها ، قال لي استاذ الفلسفة في جامعة سبنسالار بطهران ، وكنت طول هذه المدة اريد ان افهم نظرية وحدة الوجود فلا استطيع فهمها ، ولك في هذه القصيدة ثلاثة ابيات كل واحد منها يوضح نظرية وحدة الوجود ويجعلها مثل الشمس ، والابيات هي :

اوحد نفسك بالكائنات
من النفس آثار فكر غرر
هي النفس اوجدت الكائنات
ففيها من النفس كل الاثر
وفي كل صنع من النفس جزء
سواء اقيه اختفى او ظهر

* * *

كربلاء مدينة الاشعاع الفكري والتراث الحضاري التي تزخر بكل الطاقات المعطاءة ، وما من اديب او مفكر زار العراق الا وطاف في ارجاء هذا البلد يرتشف من نمير الفكر والحرية التي تنبع من ينبوع الفكر الامام الحسين بن علي (ع) . وهاهو شاعرنا الصافي يحدثنا عن ذكرياته في كربلاء جريا على ما اعتاده الادباء ، قال :

كنت اذهب الى كربلاء لزيارة العتبات المقدسة فيها ، تعرفت على صفوة من مثقفيها وادبائها اذكر منهم الدكتور عبدالجواد الكليدار آل طعمة ، وقد جمعتني الصدفة به في طهران وفي سوريا ، وصادق الوكيل الذي كان ملازما لي اثناء زيارته لسوريا ولبنان ، والمحامي محمد مهدي الوهاب آل طعمة فقد تعرفت عليه بواسطة الاستاذ صادق الوكيل والدكتور ضياءالدين ابو الحب الذي سبب حدوث تظاهرة سياسية كبرى ضد الانكليز في بيروت سنة ١٩٤١م ونفته السلطات الفرنسية الى العراق والتي بسببها اعتقلت . ورحلت الى كربلاء ايضا للاستشفاء بعد ان مرضت سنة ١٩٢٨م بالنجف بمرض التهاب في الامعاء وانحطاط في القوى بدرجة وقعت طريحا في الفراش ، ولا استطيع تحريك راسي من الوسادة ، نقلت على اثرها الى كربلاء . وفي كربلاء ادخلوني مستشفى لسعدالدين عيسى وهو دكتور عند الحكومة له مستشفى خاص ، وبقيت اعالج به نفسي. وفي اليوم الخامس استطعت ان اخرج واجول على نهر الحسينية وفي الطريق المؤدية الى البساتين ، واقصد الصحن الشريف الحسيني . وبعد ذلك قال لي الطبيب : ان هواء العراق لا يوافقك . وعليك ان تسافر الى سوريا ولبنان ، للاستشفاء ، فغادرت كربلاء الى النجف، ثم سافرت سنة ١٩٣٠ وجئت الى سوريا ، وفي سوريا دخلت عدة مستشفيات ، ثم صرت انتقل بين سوريا ولبنان حتى هذا اليوم .

* * *

وامتاز الصافي منذ مطلع شبابه بروحه الثورية وتمرده على بعض التقاليد البالية ، وحبه لوطنه . ولما تعرضت بلاده للغزو الانكليزي سنة ١٩٢٠م ، ثارت ثائرته على هذا التدخل الاجنبي شانه شان اصدقائه من الشباب الثائر الذي نهض بأعباء المسؤولية ، ووقف في وجه المستعمرين الذين يحاولون النيل من كرامة الشعب العراقي وتدنيس تربة الوطن بأرجاس الاستعمار . ولم يبال الصافي بما كان ينتظر له من ملاحقات او تعرض حياته للموت ، لان طريق الثائرين يكون دائما ملغوما بالمخاطر ، وهاهو الاستاذ الصافي يملي علينا ذكرياته وجهاده المرير في ثورة العشرين الخالدة :

قبيل اشتعال الثورة بثلاثة اشهر ، اقيم اجتماع كبير في المسجد الهندي بالنجف ، والقيت فيه خطب مهيجة ، ومن جملة من خطب السيد محمد باقر الحلي قصيدة اذكر منها هذا البيت :

حتى اليهود يوقرون وحقهم
يرعى وحق المسلمين يضام

والقى محمد علي كمال الدين قصيدة وآخرون غيرهم . وبعد قدومي سوريا كان عمر ابو النصر يصدر مجلة شهرية باسم (العرب العظمى) فاصدر عددا خاصا بثورة العراق جاء فيه : على اثر الاجتماع المنعقد بجامع الهندي ، جاء طلب من حاكم بغداد العسكري الى حاكم النجف بالقاء القبض على الجماعة المهيجين وهم السيد احمد الصافي والسيد محمد علي كمال الدين والسيد سعد صالح والسيد حسين كمال الدين ، ولكن حاكم النجف لم ير من المصلحة القاء القبض عليهم .

عندما دخل الانكليز العراق سنة ١٩١٤م وفي اواخر سنة ١٩١٨م كان ولسن قد اعلن شروطه الاربعة عشر لكل شعب حق تقرير مصيره بنفسه . وكنت مع سعد صالح دائم الاتصال ، وقد اصبح فيما بعد وزيرا للداخلية ورئيسا لحزب الاحرار ، وكنا نخرج كل يوم قبل الغروب الى خارج البلد نتجول ونبقى هناك حتى غياب الشمس . قلت لسعد صالح يجب ان نغتنم هذا الشرط من شروط ولسن الذي ينص على كل شعب حق تقرير مصيره بنفسه ، ونطالب باستقلال العراق ، وحين عرضت الفكرة اولا على اخي السيد محمد رضا الصافي والشيخ عبدالكريم الجزائري اجاباني بان العرب لا اهلية لهم للاستقلال ، فبقيت اتابع الحديث معهما في هذا الموضوع ولا انفك عن الحديث بكل حماس لاقناعهما . وبعد شهرين جاءني اخي السيد محمد رضا وذهب الى ابي صخير لمواجهة القائمقام هناك . وكان من عادة اخي في زمن الاتراك انه عندما القائمقام لامور تتعلق ببساتينه في الحيرة ، يدخل بمجرد الاستئذان ، ولكن الانكليز ارادوا ان يروضوا العراقيين على الطاعة ، فعملوا لهم صالون انتظار ، فيبقى المراجع مدة من الزمن حتى يؤذن له ، فقال لي اخي السيد محمد رضا : كنت اليوم في ابي صخير ، وفي صالون الانتظار كان هناك السيد علوان الياسري ، فاخذ احدنا ينظر الآخر نظرة تألم من هذا القيد والترويض الذي فرض

علينا؛ وتفاهمنا بنظراتنا؛ ثم اشار الي السيد علوان بالخروج من الصالون ، فخرجنا واخذنا نتجول على احدى السواقي ، فقال لي يا سيد محمد رضا ما هذه الحالة ؟ فقلت له : انا حاضر ومستعد؛ فقال لي : انا استطيع ان اهيء جميع العشائر للثورة ، ولكن العشائر لا تتحرك الا بامر ديني ، وعلماء ديننا ليست لهم خبرة بالسياسة ، فيصعب علينا التفاهم معهم ، فنحتاج الى واسطة بيننا وبين علماء الدين لكي نتفاهم معهم فقلت له : ما رايك بالشيخ عبدالكريم الجزائري ؟ فقال : جيد ، فوعدته به ان يتوصل ، ثم التفت الي قائلا : اتعرف رأي الشيخ عبدالكريم في عدم الثقة بالعرب للقيام بهذا العبء ، فقلت له : انه يأتي الليلة كعادته عندنا للسمر في كل ليلة ، ونسأل الله ان يعيننا ، فحضر الشيخ عبد الكريم تلك الليلة كعادته . وعندما عرض اخي عليه الفكرة ، تناول الشيخ عبد الكريم فنجان قهوة ، وقال هل يمكن ان نفرغ قربة ماء في هذا الفنجان ؟ قلنا : كلا . قال هكذا ظرفية العرب لا تتحمل هذا المشروع . وبقينا في كل ليلة نتعاون انا واخي السيد محمد رضا لاقناع الشيخ عبدالكريم ، ولكنه لم يكن يقتنع ، وفي ذلك الوقت كنا نجتمع في غرفة آل كمال الدين بمدرسة الاخوند ، كان السيد سعيد والسيد حسين والسيد محمد علي والشيخ محمد رضا الشبيبي احيانا ، نطالع هناك المجلات والصحف ، ونتكلم في مختلف القضايا والمواضيع وبصورة خاصة القضايا الفكرية الجديدة والسياسية ، حيث كنا طليعة المتجددين في النجف آنذاك ، فحضر يوما الشيخ محمد رضا الشبيبي ، وكنت انا وسعد صالح فقط في الغرفة ، فاخذنا نعرض عليه فكرة استقلال شرط ويلسن للمطالبة باستقلال العراق ، فتحدثنا عدة ساعات وتحاورنا، وكان يسمع ولا يجيب ، حتى كدنا نيأس منه ، وبعد شهر تقريبا رآني الشيخ عبدالكريم الجزائري في زقاق الشارع المؤدي الى دارنا ، وناداني يا سيد احمد ، فذهبت اليه وقال لي : اخبرك اني كنت في كربلاء ، واجتمعت بالشيخ محمد تقي الشيرازي ، فابدى استعداده للتعاون معنا في امر الثورة ، والان اطلب منك ان تجمعني بالشيخ محمد رضا الشبيبي ، وكانا متباعدين كل منهما عن الآخر . فتركت الشيخ عبد الكريم في بيتنا ينتظر ، وذهبت الى الشيخ محمد رضا وطلبت منه الذهاب الى بيتنا لكي يجتمع بالشيخ عبدالكريم ، فابدى اليأس من التعاون مع الشيخ عبدالكريم ، وقلت له يا شيخ محمد رضا ارجوك ان تجتمع به ، وبعد ان يتم الاجتماع ليكن الامل او اليأس ، فجاء معي واجتمع بالشيخ عبدالكريم وباخي السيد محمد رضا في غرفة ، وتركوني في الغرفة المقابلة على اساس اني اصغرهم سنا ، وربما عندهم اشياء لا يحبون ان اطلع عليها . وبعد اجتماع دام ثلاث ساعات ، جاء الشيخ محمد رضا الى غرفتي ، وكان قد قبض كفه ، وعندما رآني فتح راحة كفه، وقال : (حنطة لا شعير) واتفقنا على ان نأخذ وثائق من زعماء العراق الى الشريف حسين للمطالبة باستقلال العراق ، وسآخذك معي معاونا ، ونستأجر لنا بعيرين ونذهب الى الحجاز[11] . وهنا بدأ العمل فصارت الاجتماعات السرية تنعقد في بيتنا ، وصرنا نتخابر مع جهات في بغداد والكاظمية والرميثة . نسيت ان اذكر شيئا هو عندما تفاهمنا مع سعد صالح للمطالبة بالاستقلال ، التقينا بعد يومين خارج البلد بصالح جبر ، وكان آنذ ذاك كاتبا في المحكمة الانكليزية بالنجف ، وقدمني اليه وقدمه لي ، وقال له عندنا هكذا نية ، فما رايك ؟ فشجعنا على ملاحقة الفكرة .

وهنا عمل استفتاء ، وكان اول استفتاء جرى بطلب من الانكليز في بيت الشيخ محمد جواد الجواهري زعيم النجف ، فاجتمع الشيخ عبدالكريم والسيد علوان الياسري عندنا في البيت ، وتفاهما على الطريقة التي سيتخذونها في الاستفتاء ، ثم ذهبنا الى هناك دون ان يذهب الشيخ عبدالكريم مع السيد علوان ، حيث ذهبا منفردين ، ولما التقيا في بيت الشيخ محمد جواد سلم احدهما على الآخر وكأنهما لم يلتقيا قبل ساعة ، وهناك جرى الاستفتاء (ماذا تريدون ؟) طلب البعض اميرا ايرانيا ، والبعض طلبوا السيد طالب النقيب في البصرة ، ونسيت باقي المطالبات . وهنا وجه السؤال الى عبدالواحد الحاج سكر ، وكنا قد اتفقنا على ان يكون هو المتكلم بفكرتنا ، فلما عرضوا عليه السؤال بدأه بالكلمات التالية : نحن مسلمون وتابعون لرجال ديننا ، ولاشك ان علماء ديننا هم سائرون حسب الآية الشريفة (ومن يتولهم منكم فانه منهم) فنحن نطلب ان يكون المتولي على شؤون العراق مسلما . ثم قال : ونحن العرب لا نقبل علينا زعيما غير عربي ، وكل منا يريد ان تكون له الزعامة . فاذن يجب ان نتفق على شخصية يدين لها الجميع ، ولا تكون تلك الشخصية الا احد ابناء الشريف حسين ليكون ملكا على العراق .

---

(11) انظر بحث (مبالغات في مذكرات الشبيبي) للسيد محمد الكليدار آل طعمة، المنشور في مجلة (الكتاب) البغدادية (العدد ٩ ، ١١ ، ١٢ - ١٩٧٤ م) والعدد ١ (١٩٧٥ م).

وعندما انتهى من حديثه ، اسقط في يد كثير من الزعماء الذين كانوا متأثرين لتوجيه الانكليز ، فلم يستطيعوا ان يقولوا ما في نفوسهم بعد كلمة عبدالواحد الحاج سكر ، فعندما وجه السؤال الى كل منا ، اجاب كل واحد ان راي عبدالواحد هو الراي الوحيد المصيب . واخذ الباقون يوافقون عليه . ثم عقد اجتماع ثان في بيت الشيخ علي كاشف الغطاء لم احضره ، وكانت الاحاديث هناك تشبه احاديث الشيخ محمدجواد ، ثم عقد اجتماع عند الحاكم العسكري ، فتولى الكلام الشيخ محمد رضا الشبيبي ، وكان معروفا ببرودة الدم ، واذا به يظهر منه الحماس العظيم ويصطدم مع الحاكم الانكليزي مما اثار دهشة الجميع والتقدير له ، وبعد ان انفض الاجتماع جاءني الشيخ عبدالكريم الجزائري وقال لي : هذه الليلة اما ان يعتقل الشيخ محمد رضا واما ان يقنعه الانكليز بطريقة من الطرق ، فاذهب اليه وشدد عزيمته ، فذهبت اليه ، وقلت له : ماذا ينتظر الليلة ؟ فقال اما الاقناع فلو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي فلن اغير الراي ، واما الاعتقال فانا مستعد بمجرد مجيء احد من قبل السلطة ، ان اقفز من سطح بيتنا على سطح بيت الحاج حسن شلاش المجاور لنا ومن هناك الله يدبر الامر ، ثم صارت المكاتبات تجري بيننا وبين رجال الثورة في بغداد وفي الرميثة ، وكنا نكاتبهم بالحبر السري ، وكانت طريقة الحبر السري طريقتين : الاولى ان نكتب على الصفحة اشياء عادية ونترك الصفحة المقابلة فارغة ، ثم نكتب عليها بماء البصل ما نريد من مسائلنا المتعلقة بالثورة ، وعندما يصل المكتوب الى الطرف الثاني يقرب الصفحة البيضاء من سنى النار ، فتصفر مواضع الكتابة . والطريقة الثانية هي ان نبلل الصفحة المقابلة بلا خفيفا ثم نضعها على مرآة ونكتب عليها بقلم قصب دون حبر فنترك تاثيرها على الورقة ، وعندما تجف لا يبين من الكتابة شيء. وحين يصل المكتوب الى الطرف المقابل يبلل الورقة من جديد ويضعها امام الشمس ، فتظهر الكتابة المطلوبة . وكانت الاجتماعات تتوالى عندنا في البيت ، واذا بالسلطة الانكليزية تعتقل المرزا محمد رضا الشيرازي كبير انجال الشيخ محمد تقي الشيرازي وتنفيه الى الهند . وهنا يبدا الاستعداد للثورة العملية . واول ما بدات الثورة في الرميثة ، ونكتفي الان بهذا المقدار .

وبعد ان استمرت الثورة ستة اشهر ، وكان الثوار يعتمدون في غذائهم على الرطب ، حيث كان الفصل صيفا ، وعندما قرب فصل الخريف وانتهى فصل الرطب ، قلت الاغذية عند الثوار ، واخذ البرد يضايقهم ليلا ، فاخذ الكثير منهم يرجعون الى بيوتهم طلبا للغذاء والدفء ، وكان الانكليز بعلم من ذلك ، وعندما قل عدد الثوار ساق الانكليز قوة كبرى ، وهاجموا بها الثوار، فانسحبوا الى جهة النجف ، فكانت ليلة كليلة المحشر ، حيث وصلت العشائر المنهزمة بعائلاتها واغنامها وبقرها الى النجف في ذلك الظلام الدامس ، فخرج اليهم المنجدون من النجف وهم يحملون اللوكسات(١٢) وقرب الماء والاغذية . ثم اصبح الصباح ، فاصبح المرء لا يستطيع السير في الشوارع لامتلائها باللاجئين . وهناك اجتمعت انا وصديقي سعد صالح والسيد محمد علي كمال الدين والشيخ علي الدشتستاني وقررنا ان نبعد وجوهنا عن العراق الى ان نرى المصير المنتظر .

* * *

عندما شرع الانكليز بغزو العراق ، كانت هناك نخبة من الشباب المثقف الواعي الذين ترسخت في عقولهم العقيدة الثورية ، لذا فانهم ما ان اوشك الاستعمار البريطاني تطا اقدامه ارض العراق حتى انتهبت حماستهم ضد هذا العدوان الاستعماري الغاشم . وبدأوا يحرضون ابناء الشعب بخطبهم واشعارهم التي تثير في النفوس النخوة والحمية ، مما اضطر المستعمر الانكليزي ان يبحث عنهم لزجهم في السجون والمعتقلات ، فاضطر بعض هؤلاء الشباب الى الهروب ، ومنهم شاعرنا الاستاذ احمد الصافي ، حيث يحدثنا عن رحلته الشاقة الى ايران فيقول :

اتفقت مع مكار ان يحضر لي ولكل من سعد صالح والسيد محمد علي كمال الدين والشيخ علي الدشتستاني بغالا عند مدرسة الآخوند في النجف وقت الفجر ، ومن هناك سافرنا في صحراء الشامية ، نقصد قطع الجزيرة بين دجلة والفرات، وعندما اشرقت علينا الشمس في صحراء الشامية ، وكانت الصحراء مليئة باللاجئين المنهزمين ، واذا بطائرة انكليزية تحلق فوقنا ، ولكنها لم تلق شيئا . وهكذا اكملنا طريقنا في الرميثة ، ومن هناك سافرنا الى آل بدير في الديوانية لنقطع الجزيرة بين دجلة والفرات ، وعندما وصلنا آل بدير ، وجدنا عدة عائلات تنتظر السفر وتخشى من السلب والنهب الذي كان قد جرى عليهم قبل ايام من قبل قطاع

---

(١٢) المصابيح النفطية .

الطرق ، فدخلنا دار الضيافة لرئيس آل بدير ، وكان مضيفا طويلا ؛ ولم يكن الرئيس حاضرا اذ ذاك ، فاتفق اصحابي على ان اكون انا المتكلم مع الرئيس ؛ وعندما حضر الرئيس اخذت اتكلم وعرف مقصودنا ، وكذلك عرف ان جدي الشيخ محمد حسين الكاظمي المجتهد المعروف وقال لي انه مستعد ان يرسل ابنه للحفاظ علينا في هذه الرحلة حتى يوصلنا الى محل الامان . وهنا امر باحضار ادوات الشاي وذبحوا لنا راسا من الغنم . وفي العشاء قدموا لنا طشتا فيه قطع اللحم ، ووضعوا راس الذبيحة امامي ، واوكلوا الي تقسيم الذبيحة على باقي الضيوف . وبعد الانتهاء من العشاء احضروا لنا البقال ؛ فجاء الرئيس وساعدني على الركوب ؛ وارسل معنا ابنه البالغ من العمر ٢٢ عاما ؛ ورافقنا في تلك الرحلة ، واوصونا ان لا يتكلم احد لان صوت الليل يسمع ، ولا يدخن احد سيكارة ، لان نار السيكارة تظهر فسرنا ونحن على وجل نكتم انفاسنا ؛ واذا بطفل في السنة الاولى من عمره يوالي الصراخ المتتابع ، فكدنا ان نجمد من الوجل ، وكيف نسكت الطفل ! فكان صراخ الطفل هو حارس الامان لنا ؛ وعند حلول الفجر قطعنا الجزيرة ووصلنا الى الجهة الثانية ، فانفصل عني سعد صالح والسيد محمد علي كمال الدين وذهبنا الى مدينة العمارة ؛ ومن هناك الى الكويت ، حيث كان السيد عيسى كمال الدين والد السيد محمد علي عالما دينيا في الكويت .

اما انا ورفيقي علي الدشتستاني فسافرنا الى بلدة الحي ؛ واقمنا فيها ليلتين عند الشيخ صالح قفطان الاديب والشاعر الذي كانت بيننا صداقة ومودة عندما كان في النجف. وعند وصولنا الى الحي بدانا بتغيير زينا ، فرفعنا عمائمنا ، ولبسنا الكوفية والعقال ، ونزلنا في خان خارج البلد ، ثم دخلنا الى السوق ، واذا بالشيخ علي كشكول يكشف امرنا ويزورنا في الخان ، ثم سافرنا الى بلدة كوت الامارة ؛ وبعد ان قضينا اياما سافرنا الى بلدة جصان ثم الى بلدة بدره ؛ وهناك وجدنا المرزا محمد تقي آل مرزا خليل قادما من طهران يريد الذهاب الى والي پشت كوه ـ محل اقامة الاكراد ـ وعمل معه وصايا من فرمان فرما ليقدم له اراضي من جبل پشت كوه حتى يقوم بزراعتها هناك . فاصر علي الشيخ محمد تقي ان ابقى معه في بدره لكي نذهب سوية الى والي پشت كوه وهو ابن حسين قلي خان ؛ فانفصل عني رفيقي الدشتستاني وذهب الى كرمنشاه .

وبعد مضي نصف شهر ذهبنا سوية مع الشيخ محمد تقي الى جبل پشت كوه فنزلنا ضيوفا لمدة ثلاثة ايام ؛ وقد هيا لي ذلك الوالي وسائل السفر الى كرمنشاه . وفي كرمنشاه التقيت بصديقي علي الدشتستاني فاخذني وانزلني في غرفته في احدى المدارس الدينية ، وبقيت اياما انتظر سيارة تقلني الى طهران ؛ وفي احدى الليالي حضر الشيخ علي الدشتي عضو مجلس الشيوخ في طهران ؛ وكان منفيا من قبل وثوق الدولة عاقدا المعاهدة الانكليزية الايرانية ؛ وهو اخ قوام السلطنة ، فلما اجتمعت انا والدشتي عند الدشتستاني كان الدشتي فصيحا باللغة الفارسية يتكلم العربية بلهجة فارسية ، وانه من مواليد كربلاء ؛ اما انا فكنت فصيحا بالعربية اتكلم الفارسية بصعوبة بالغة ؛ فلما راى ذلك الوضع مني قال لي : تكلم انت بالعربية وانا اتكلم بالفارسية ، فبقينا اربع ساعات نتكلم فاعجب كل منا بالآخر ، وبما له من مطامح وافكار جديدة . وقال لي انا ذاهب غدا الى طهران ، ومستعد لمساعدتك هناك بما يلزم ؛ وكنت اتردد على خان تقصده بعض السيارات لكي احصل على سيارة تقلني الى طهران ، واذا بسيارتين كبيرتين تحملان بضاعة ، ووراءهما سيارة صغيرة نزل منها صاحب السيارتين ، فقال له صاحب الخان : كم تاخذ اجرة من السيد احمد توصله الى طهران على ان يركب جنب السائق ؟ فقال له : آخذ مئة روبية وتساوي ليرة ذهبية ؛ كان من الصعب علي دفع هذا المبلغ ، وقد هيأت لي مقدارا من المال ولا اعرف ما سيطلبه المستقبل منه ، فاصطحبت صاحب السيارة الصغيرة الى جهة وكان مسيحيا ، وقلت له : ان لم تربطني بك رابطة الدين تربطنا رابطة العروبة ؛ فانا اطلب منك ان تخفض السعر ، وكان هذا الشخص من اسرة آل غنيمة من بغداد ، وعندما سمع كلامي اثر به ، وقال لي انا مستعد لاخذك مجانا الى طهران ، ولكني مضطر للتاخر ثلاثة ايام في كرمانشاه ، واريدك ان تشرف على البضاعة المحملة في السيارتين لئلا يسرق منها السائقان ويبيعا بعض البضاعة ، فوافقت وقلت له اذن ابلغ السائقين باني وكيل عليهما من قبلك . وهكذا قال لهما ان هذا السيد وكيلي ؛ وسافرنا ؛ ولكن السيارتين المحملتين كانتا كثيرا ما تقفان في الطريق للاصلاح ؛ ثم وصلنا الى قرية نمنا فيها

ليلا ، واذا باحدى السيارتين لم يفرغ منها الماء ، وكان البرد شديدا فتجمد الماء وانفجر خزان الماء ، فسافرت مع السائق الثاني ، وقضينا معظم الطريق بالوقوف والتصليح الى ان وصلنا بلدة همدان ، وعندما وصلناها وجدناها مكفنة بالثلوج، فنزلنا في مقهى ، ومن حسن الصدف وجدنا فيها مطعما ومناما ، وكان فيها سواقا من الروس ، فقضينا ثلاثة ايام ، ثم حضر صاحب السيارة ، فشكرني على المحافظة على البضائع ، وقال لي انا مضطر للبقاء هنا لمدة اسبوع لاصلاح هذه السيارة المعطلة وهي الثانية ، فاذا رغبت فابق هنا ، فقلت لقد تضايقت من برد همدان وثلوجها ، وانا اودعك الان ، فودعته وذهبت لاستاجر عربة خيل (وهي تبدل خيلها في كل ثلاث ساعات في المنازل وتصل طهران في ثلاثة ايام بالسير المتواصل) فذهبت الى مركز الشركة ، وقلت لهم كم تاخذون مني اجرة لايصالي الى طهران ؟ فقالوا ناخذ عشرين تومانا ، وكان كل ثلاثة تومانين يساوي ليرة ذهبية واحدة ، فرايت المبلغ كثيرا على ميزانيتي ايضا ، فاردت تخفيض المبلغ ، وقلت لهم : ان صاحب السيارة التي اتيت بها الى همدان هو مسيحي من بغداد وليس من ديني ، ومع ذلك وافق ان ياخذني مجانا ، وبما انكم من ديني فاطلب منكم تخفيض المبلغ ، فقالوا ناخذ منك عشرة تومانين ، وهو نصف المبلغ المذكور ، وكان اسم الشركة (شركة بهمن) وعندما وصلت طهران علمت ان اصحاب الشركة مجوس .

وفي طهران قرات في الصحف الفارسية ـ وقد مر علي شهر في الطريق ـ خبر دخول الانكليز الى بلدة النجف ، واعتقال الانكليز خمسة من الزعماء هناك ، وكان احدهم اخي السيد محمد رضا ، ولكن اودعوه بسجن منفصل ووضعوا المشنقةامامه ، لانه جعل بيته مركزا لمؤامرة الثورة، وبعد خمسةاشهر اطلقوا سراحه ، كما اطلقوا سراح باقي المعتقلين ، فبعث الى طهران خمسة ابيات الي معلقا عليها : (قلت هذه الابيات عندما زارني احد الزعماء في السجن وانا امام المشنقة ، فاطلب منك تخميسها) فخمستها وارسلتها اليه ، وهي :

انا في سوى العلى ما رغبنا
نملأ الكون رهبة ان غضبنا
ما جزعنا للسجن يوم غلبنا
(ان من رام مثلما قد طلبنا
لا يبالي ان سيق بالسجن سوقا)

نحن قوم عن العلى ما قصرنا
حيثما دار كوكب العز درنا
واذا جار حادث الدهر جرنا
(رخصت عندنا النفوس فثرنا
نطلب العز والعلاء لنبقى)

قد خلقنا دون الورى احرارا
وامتلكنا التيجان والامصارا
وجعلنا لنا المعالي شعارا
(ولقد سامنا العدو احتقارا
فرآنا نستبق الموت سبقا)

ان ذلي موتي وعزي حياتي
ما انثنت للعدو يوما قناتي
انا فرع من دوحة المكرمات
(أنا من اسرة كرام اباة
لا يرون الحياة بالذل ابقى)

انا لما اسرت لم ابد ضعفا
لا ولم ارج من عدوي عفا
ولقد قلت والردى بي حفا
(شرع ان يكون موتي حتفا
أو أراني يكون موتي شنقا)

وعندما ارسلتها اليه ، نشرها في مجلة (لغةالعرب) التي كان يصدرها الاب انستاس ماري الكرملي . وهنا قصة طريفة تتعلق ببعض هذه الابيات ، وهي اني انشدتها لصديقي ملك الشعراء محمد تقي بهار، وكان هناك في طهران بعض الادباء في بيته ، ومن بينهم رجل يسمى صفوي زاده ، وعندما قرات مقطعا منها ، ثار علي وقال لي : كان عليك ان تراعي شعورنا ولا تجرحه بشعرك هذا . فقلت له : ماذا قلت ؟ فقال : وامتلكنا التيجان والامصار اي ان جدكم اخذ تاج جدنا . فقلت له اني افتخر بثورتك علي لهذا السبب . وهناك في طهران اردت ان لا يذهب الوقت مني سدى وان اتهيأ لترتيب معيشتي لاني لا اعلم ماذا ينتهي اليه امر العراق ، فاقبلت على تعلم الفارسية من الافواه ، فكنتاكتبالكلمات التي اسمعها وافهمها ثم احفظها ، وبعد ستة اشهر صرت اتكلم الفارسية ، وهنا طلبت وزارة المعارف الايرانية معلمين على ان يؤدوا الفحص ، فرشحت للتعليم ولكني رغم اني كنت عالما من علماء النحو ، وانا من تلاميذ السيد ابي الحسن الاصفهاني في علم الاصول ، ولكن علمنا لم يكن يرافقه امتحان ، فكنت اخشى من الامتحان من ان اضطرب فانسى

كل ما اعلم من علم النحو . وبعد اشهر راجعت كتب النحو مستعيدا ذكرياتها القديمة ، وقرب موعد الامتحان ، فكرت في نفسي بان ازور احد القائمين على الامتحان في بيته ، واعرض امعلوماتي في النحو وفي الادب واقول له : امتحنني عندك واخشى ان اضطرب في اثناء الامتحان ، وعندما وصلت اليه اسمعته اولا قصيدتين مترجمتين عن الفارسية ، وهي قصيدة (القطرات الثلاث) اي (قطرات سكانه) المنشورة في مجلة (بهار) لصاحبها اعتصام الملك ؛ والقصيدة الثانية مطلعها :

انهضي فرخة الحمام وطيري
ودعي العيش في نهاد الوكور

وهي مترجمة عن قصيدة الشاعرة پروين اعتصامي ابنة اعتصام الملك ، واولها :

اي مرغ كه خرد زاشيانه
پرواز كن وپريدن آموز

وعندما اطلع على الترجمة ، اعجب بها غاية الاعجاب ، كما اثنى على مقدرتي في الادب وشاعريتي ، وقال لي آسف اني مرشح للامتحان لتعليم المدارس الابتدائية ، وانت مرشح للامتحان لتعليم المدارس الثانوية ، ولكني سأقدمك الى القائمين في الامتحان للمدارس الثانوية ، فاخذني الى اولئك الاشخاص واعني بهم اللجنة المشرفة على الامتحان ، وقدمني اليهم ، واثنى علي امامهم ، وعندما جلست ، واذا بالممتحن لي يكلمني بكلام عربي نجفي ، فذهب عني كل ما كنت اخشاه من قلق واضطراب ونسيت كل شيء في ذلك ، وصرت اشعر باني اعيش في النجف ، واسمعته شيئا من ترجمتي لرباعيات الخيام وذلك سنة ١٩٢١م وهما البيتان الآتيان ، ولكني لم اثبتهما في رباعيات الخيام المطبوعة ، لاني ابدلتهما بصيغة اقوى ، واتذكر منهما البيت الثاني وهو :

ان نعص وربنا بمثل يجزي
ما لفارق بيننا وبين الذرب

ان الواو في (وربنا يجزي) واو حالية دخلت على الجملة ، قال لي : كون لنا من الجملة وصفا ، فقلت له: ان نعص مجزيين بالمثل من ربنا ، فالتفت الى معاونه الذي يضع درجاته وقال له : اعطه اعلى درجة في النحو وهي درجة (٢٠) وهكذا عينت معلما في ثلاث مدارس ثانوية ، على ان اعلم كل يوم ساعتين فقط ، وهي المدرسة العلمية والسلطانية والكمالية ، وبعد مضي سنتين وجدت التدريس يضعف اعصابي ويرهقني ، فاستعفيت منه ، واخذت اتمرن على الكتابة بالفارسية ، وكنت كلما ترجمت سطرا من العربية الى الفارسية يغير لي صديقي عباس الخليلي عدة كلمات في السطر ، مما ولد يأسا في من القدرة على الكتابة بالفارسية ، ولكن صادف اني زرت صديقي علي الدشتي في ادارة جريدته (شفق سرخ) فقال لي : لماذا لا تعاضدنا في الجريدة ؟ قلت كيف ؟ قال ان تترجم لنا من العربية ، فقلت انا لا اجيد الترجمة ، فقال لتجرب ، هذا مكتوب في مجلة (المقتطف) المصرية ، من احد رجال الاعمال الكبار في نيويورك الى ابنه الذي يدرس في جامعة تبعد الف كيلومتر عن نيويورك ، والمكتوب مليء بالنصائح الثمينة والتجارب النافعة ، ويقع في صفحة ونصف صفحة من مجلة (المقتطف) بالحجم الكبير ، فقال لي : اجلس في تلك الغرفة وترجم هذا المكتوب لنا ، فذهبت الى الغرفة ، وترجمت المكتوب في نصف ساعة ، وعدت اليه ، فلما اطلع عليه ، قال هذا الذي اريده ، وغير ثلاث او اربع كلمات ، فقلت له اذن كيف ان الصديق عباس الخليلي كان يغير في السطر عدة كلمات ؟ فقال لانه كان يريد ان يجعل اسلوبك كأسلوبه ، ولكن هذا خطأ ، فان لك اسلوبا خاصا ، وله اسلوبه الخاص ولي اسلوب خاص ، ولو اردت ان اجعل كتابتك باسلوبي لغيرت كلمات كثيرة ، فنشر المكتوب في اليوم الثاني في جريدته ، وكتب : ترجمة آقا سيد احمد نجفي . وكان فاتحة دخولي الى عالم الادب الفارسي . وبعد شهرين قتل حاكم السودان الانكليزي السردار ليستلك في القاهرة ، فقبض على القتلة وحوكموا واخذت جريدة (الاهرام) تنشر تقرير النائب العام تباعا ، فقال لي الصديق علي الدشتي : ترجم ولخص التقارير فترجمت القسم الاول ولخصته ، فنشر دون ان يضع توقيعي ، وكنت اريد ان يظهر توقيعي لاستطيع العيش من الكتابة بالفارسية ، بعد ان اعياني التعليم ، فقلت له : لماذا لم تضع توقيعي ؟ فقال : اترك الامر لي ، فسكت على ما مضى ، واخذت اترجم وهو يتابع النشر الى خمسة عشر عددا ، وكان المجتمع الايراني يتلقى هذا التقرير بكل لهفة ويقرأ بكل اهتمام . وعندما انتهى من نشره ، كتب في العدد الاخير : انتهى تلخيص وترجمة ازجرائد عربي بقلم آقاي سيد احمد نجفي . فقلت له : لماذا لم تكتب هذا اولا ؟ فقال لاجل مصلحتك . فقلت له وكيف ؟ فقال لو قرأوا اسمك اولا لقالوا انه لا يجيد الكتابة بالفارسية ، بينما كتابتك الفارسية فصيحة ولا غبار عليها ، فانا تركتهم يقرأون كتابتك في اربعة عشر عددا معتقدين

ان الكاتب فارسي ، حتى فاجاتهم في العدد الاخير بأن الكاتب عربي ؛ مما ولد الدهشة عند ادباء الفرس ؛ ثم صرت اكتب في مجلة (ارمغان) وهي لسان حال النادي الادبي في طهران ، وفي جريدة (ستاره ايران) وفي جريدة (كوشش) وفي جريدة (اقدام) . وبعد مضي عام واحد جاءني وحيد دست كردي صاحب مجلة (ارمغان) وقال لي : لقد طرح اسمك في النادي الادبي البارحة لتكون عضوا فيه ، فوافق الاعضاء على ذلك وطلبوا منك قصيدة تتلى في الجلسة القادمة بدون حضورك ، وبعد ذلك تحضر ؛ فقلت له : كيف انتخب عضوا وانا لا اجيد النظم بالفارسية ؟ فقال لي : اولا ان النادي للادباء وليس مختصا بالشعراء ، وانت اديب تكتب بالفارسية ، كما انك شاعر ، ونحن نعتبر الشاعر في اية لغة عضوا فينا ، وهكذا صرت احضر جلسات النادي في الاسبوع مرة واحدة لمدة ثلاث سنوات .

واخيرا : قررت ان اصبح عضوا في لجنة الترجمة والتاليف الفارسية في طهران ، ولكن هناك كلمة شائعة تقول : ان من يريد ان يتوظف عليه ان يبقى ست سنوات يقطع احذية لمراجعة الوسائط وبعدها اما ان ينجح في مسعاه او ان يخيب ؛ وانا قلت سأسلك طريقا آخر ، وهو اني كتبت مكتوبا الى وزير المعارف السيد محمد التدين ، وهو رئيس المجلس التاسيسي لتعيين البهلوي شاها ، وكانت له اليد الطولى في توطيد دعائم ملك البهلوي في طهران ، ومعروف بالجبروت ؛ خاصة عندما كان نائبا في المجلس ؛ فاذا وقف يخطب ، فانه يخطب بفصاحة ولهجة فيها الجبروت ، فقلت سأريه في مكتوبي جبروتا اعظم من جبروته ؛ فأما ان انجح والا اكون قد نجحت في اني اريته جبروتي. فكتبت اليه ما هذا نصه وترجمته :

حضرة السيد محمد التدين وزير المعارف المحترم :

بعد التحية . اعرض لكم انه جرت العادة في هذه البلاد ان من يريد ان يتوظف عليه ان يستعمل الوسائط وانا لم اشأ ان اسلك هذا الطريق لسببين الاول عزة نفسي والثاني فضلكم ، لذلك رايت ان اجعل واسطتي اليكم اعظم اثر ادبي في بابه فاطلعوا عليه وجازوني بما استحق .

المخلص
السيد احمد النجفي

وذهبت الى وزارة المعارف ؛ وكان في غرفة الانتظار اشخاص كثيرون ينتظرون دورهم ، فاعطيت المكتوب الى الفراش ، وبعد عشر دقائق جاء الفراش وقال لي ان الوزير يقول : تفضل ، فدخلت وانا رافع راسي ، وكان شخص واقفا يتكلم معه ؛ فسلمت وجلست ، وبعد ان انتهى من حديثه . قال لي : قلت في مكتوبك انك تريد ان تطلعني على اثر ادبي ، فاطلعني عليه ، فقلت له الاثر الادبي هو تعريب (رباعيات الخيام) والجدير بالذكر ان السيد محمد التدين يتقن العربية لانه كان شيخا من رجال الدين وكنت قد كتبت الرباعيات في صفحة يقابلها في الصفحة الثانية الاصل الفارسي ، فقدمته اليه ، وقدمت معها كتاب مرزا محمد خان القزويني الذي يشهد فيه ان الترجمة فاقت جميع الترجمات الشعرية في جميع لغات العالم ؛ فاخذ يتامل في الرباعيات وفي المكتوب ، ثم قال لي هل انت ايراني ؟ وكانت عندي آنذاك جنسية ايرانية ، وكان يكفي ان اقول انني ايراني ، ولكني اجبته نعم ، ايراني الجنسية ، وان كنت عربي العنصر ، كما ان كل سيد هكذا ، فتبسم تبسما خفيفا رغم جبروته ، وقال نحن نحتاج معلمين لعربستان يجيدون الفارسية والعربية ، فهل تقبل ان تكون معلما هناك ؟ فقلت له كنت معلما في طهران لمدة سنتين ، فقال اذن ماذا تريد ؟ فقلت له هذه ترجمتي لرباعيات الخيام تريكم مقدرتي في العربية ، ولاشك انكم قراتم مقالاتي بالفارسية موضوعة او مترجمة فاطلب منكم تعييني عضوا في لجنة الترجمة والتاليف التابعة لوزارة المعارف ، فقال ننظر في الامر ، وكان شخص جالسا بالقرب منه ، ولم اعلم انه معاون وزارة المعارف فقلت له اترك الامر لكم للنظر فيه ، ولكن اطلب منكم شيئا وهو ان لا تعتمدوا الا على رايكم الخاص لسببين الاول ثقتي برايكم والثاني انكم تعرفون الامر هنا . فقال لي طيب ، كما تشاء ؛ فاستاذنت بالخروج شاكرا اياه. وقلت له متى اراجعكم ؟ فقال بعد ثلاثة ايام راجع المعاون ، واشار الى الشخص الجالس . وكانت كلماتي الاخيرة لا شك انها تمس المعاون المذكور ؛ فقلت له : خاطرك ايها المعاون ، ثم خرجت . وبعد ثلاثة ايام راجعت المعاون ؛ فقال لي : وافق الوزير على تعيينك عضوا في لجنة الترجمة والتاليف ؛ وطلب منك ان تختار كتابا عربيا في التاريخ او الجغرافيا او علم النفس ؛ فاخترت كتاب علم النفس لعلي الجارم ومصطفى امين العالم ، وعقد الاتفاق على ان يدفع لي عن كل صفحة ثلاثة ريالات ، وقد

حصلت اجرا قدره خمس وثلاثون ليرة ذهبيـــة ، وبها عدت الى العراق.وعندما علم اخواني في طهران اني توظفت بهذه السرعة ، تعجبوا مستغربين ، وسالوني بأية طريقة تم توظيفك ؟ فقلت ، هكـــذا كتبت للوزير . فقالوا لي ، ما ساعدك على توظيفك الا لهجة الكبرياء التي قابلته بها .

* * *

ثم تحدث الصافي عن عودته الى العراق قائلا :

عدت الى العرا قومكثت فيه ثلاث سنوات ، غير ان السنة الاخيرة مرت بالامراض والاوجاع ، فلم تطب لي فيه الاقامة بسبب مناخه الحار الذي يؤذي اعصابي ، واشار الاطباء الي بالسفر الـــى سوريا ولبنان ، فتوجهت سنة ١٩٣٠م الى سوريا للاستشفاء .

واردف الصافي يقول :

بعد ان اصبت بمرض عضال لا يفيده الدواء العقاري وله علاج بشفيه ويمحي آثاره وهو العلاج الطبيعي ، فآثرت ان امضي بقية حياتي في بلادي العربية المترامية الاطراف ، اذ لا فرق بين النجف وكربلاء ودمشق وبيروت .

ذلك هو شاعرنا احمد الصافي النجفي الذي صحبناه في رحلتنا الطويلة هذه ، نراه مع ذلك قد آثر الزي البدوي (الكوفية والعقال) مدللا بذلك عن حبه لوطنه وتراثه العربي العريق ، والى جانب ذلك كان عزوفا عن الحياة وشديد الفخر والاعتزاز بنفســه ، اذ كان يأبى قبول الدعوات انفة وعـــزة نفس .

ويجدر بي قبل ان اختتم هذا الفصـــل ان اشير الى ان الصافي مع انه جالس الالاف مـــن الناس ، الا انه لم يتخذ له صديقا منهم ، ولعـــل ذلك يعود الى طبعه السوداوي على الرغم من طيبة قلبه وصفاء نفسه ، ولعله ايضا ومن هذا المنطلق عزف عن الزواج ومسؤولية العائلة .

* * *

اغتنمت فرصة العطلة الربيعية عام ١٩٧٥ م فقصدت سوريا ولبنان ومصر لاداء بعض المهام الادبية . وفي يوم ١٩٧٥/٢/٦ كنت على موعد مع الاستاذ نزار الزين صاحب مجلة (العـــرفان) اللبنانية ، والاستاذ الشيخ علي الخاقاني صاحب دار البيان والاستاذ سعيد علي ، فقصدنا مقهى ومطعم البحرين المطل على البحر ، ملبين دعـــوة الاستاذ نزار الى مأدبة الغذاء ، وقد اعتذر الاستاذ الشاعر احمد الصافي عن تلبية الدعوة . وبعـــد تناول الطعام ، قمنا لنتحدث مع الاستاذ الصافي في المقهى ، حيث امر لنا باحضار الشاي . وهناك كان هذا الحوار ، سألت الصافي عن الشعراء الذين تاثر بهم ، فأجاب مشكورا :

لم اتاثر بشاعر واحد ، واستطيع القول ان المتنبي هو الشاعر الاول الذي وقع في نفسي ، وكل شاعر مطبوع يتكلم من شعوره الصادق هو صديقي واكثر المطبوعين هم في الجاهلية ومنهم النابغـــة الذبياني ومالك بن الريب(١٢) .

وقلت للصافي : لقد نشرت فصلا بعنـــوان (جولة مع الصافي النجفي) في مجلة (الكتاب) التي يصدرها اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين ببغداد ، وهذا الفصل اثار تساؤلات كثيرة في الاوساط الادبية والثقافية ، حيث تضمن ما يفيد بان للعقاد كتابـــا عن شاعريتكم ، فما هو رد الفعل لديكم ؟ فأجاب :

تبدأ قصتي مع العقاد من حيث تأليف كتاب عني ، في السنة الاولى بعد الحرب العظمى الثانية ، عندما جاء بهيج عثمان صاحب دار العلم للملايين ، وكان في وفدها ســكرتير تحـــرير مجلـــة (الاديب) اللبنانية ، وكان قد نشر في عدد سابق منها قصيدة لي بعنوان (خيال في كأس) ، وهي :

تأملت في كأس الطلـــى وهـــي في يـــدي
فابصـــرت آلامـــــي عليهـــا تخطط
ولاح شبابي وهو شـــبه ممـــــزق
ولكنـــــه بالذكـــــريات محـــنط
وابصـــرت ندمـــاني يضـــمهم الثـــرى
واســـعى بآمالـــي اليهم فـــاقنـــط
كأنـــي في ليـــل تعـــامت نجومـــــه
اسير وفي واد مـــن الشـــوك اخبط
وغطت على سكر الطلى سكرة الاســـى
واســـرعت الانفـــاس تعلـــو وتهبط
فكادت هناك الكأس تســقط من يـــدي
وكادت يدي من جانب الكأس تســقط

فكتب بهيج عثمان في العدد اللاحق بعنوان (جولة الاديب في شهر) قال : في القاهرة اجتمعت مـــع عباس محمود العقاد ، وقال انه معجب بمقطوعة (خيال في كأس) المنشورةفي العدد الماضي لاحمد

(١٢) شـاعرنا الصـافي فاته ان يذكر بـان مالـك بن الريب التميمي كان من ابرز شعراء الفتوح الاسلامية الاولى .

الصافي ؛ ثم قال : ان هذا لشاعر حقا ، ثم رآني بهيج عثمان ، وقال لي : ان العقاد يسلم عليك ، ويقول انه يريد تأليف كتاب عنك ويرجوك ارسال دواوينك اليه ، فصرت ارسل اليه دواويني تدريجيا كلما صدر ديوان لي . وبعد شهر رآني جبران تويني صاحب جريدة (النهار) في ادارة مجلة (الاديب) وقال : منذ خمسة ايام كنا في حديث عنك مع العقاد في القاهرة ، وقال العقاد : ان هذا شاعر حقا ، والعقاد عابس دائما ولكن عندما يذكرك يتهلل وجهه . وبعد مرور خمس عشرة سنة جاءني ابن اخي حسين الصافي على راس وفد المحامين ، وقال : كنت في القاهرة ، وكان احد الحضور اديبا مصريا ، وعندما عرف اني ابن اخيك قال لي : ان العقاد في صدد تأليف كتاب عن الصافي ثم مرت الايام ، واقيم مهرجان لامير الشعراء احمد شوقي ، اقامه جمال عبدالناصر ، وصدرت مجلة الاذاعة المصرية ، وفيها عنوان بارز هو (الصافي اشعر شعراء العربية باعتراف عباس محمود العقاد) وفي داخل المقال تقول المجلة : زار مندوب المجلة الوفد العراقي فالتقى بالاستاذ ابراهيم الوائلي ، فسأله عن شعراء العراق ، فاجابه هناك شعراء رحلوا وهناك شعراء احياء ، ومن الشعراء الاحياء السيد احمد الصافي الذي قال عنه العقاد ، الصافي اشعر شعراء العربية . ومنذ عام واحد ، رايت ابراهيم الوائلي في مقهى البحرين ببيروت ، فسألته: هل سمعت هذا الراي من العقاد ؟ فقال : كلا . ولكني قرأته في مجلة الرسالة المصرية ومنذ سنتين اجتمعت بالاستاذ معن العجلي الاديب العراقي الذي هو اليوم مدير مكتبة المحرق في البحرين فقال : قال لي عامر العقاد ابن اخ العقاد : ان عمه العقاد ترك مؤلفا عن الصافي(١٤) ويقول في المؤلف :

ان الصافي لا يكفي لدراسته اديب واحد ، ويجب ان يدرسه ماءة ادیب . وقد تناولني الشاعر الصافي قائمة باسماء من كتبوا عنه مؤخرا . وفيما يلي اسماء اولئك الباحثين والموضوعات التي تناولت الصافي :

١ ــ صالح الفهد (الصافي في تيار الانسانية) من الكويت .

٢ ــ شاكر محمود (الصافي وفلاسفة الاسلام) من الاردن .

٣ ــ محمد حسين المختصر (الصافي شاعر الانسانية والخلود) من العراق .

٤ ــ لطيف الهند (الحركة والبركة في شعر الصافي) من العراق .

٥ ــ حمزة معيبط (الراي القاطع في شعر الصافي الرائع) من العراق .

وذكر ان هناك ستة مواضيع تناول فيها طلاب من الجامعة اليسوعية ببيروت شاعرية الصافي وهي :

١ ــ الانسان في شعر الصافي .
٢ ــ الانسان العربي في شعر الصافي .
٣ ــ الطبيعة في شعر الصافي .
٤ ــ الحركة من خلال اشعار الصافي .
٥ ــ الصافي بين شعراء العراق .
٦ ــ الحكمة في شعر الصافي .

والذي كتب موضوع (الطبيعة في شعر الصافي) هو حسن عيتاني . كما اخبرني بان هناك سبعة مواضيع في دور الكتابة من قبل سبعة طلاب جامعيين في الجامعة اللبنانية .

وفي خلال هذه المقابلة الادبية ، اتحفنا الشاعر الصافي بأبيات يصف فيها انزواءه عن الناس ، وذلك بارتدائه الملابس البسيطة التي كان يظنها قد تخفيه عن اعين الناس ، الا انه قد اخطأ الظن حيث شع نجما مضيئا بعبقريته الوهاجة وبشاعريته الاخاذة والابيات هي :

---

(١٤) على اثر نشر مقالي « جولة مع الصافي النجفي » تلقيت تعقيبا نشره الاستاذ حمود عبدالامير الحمادي الاديب العراقي الذي يواصل دراسته العليا في القاهرة ، في مجلة (الكتاب) العدد ٥ مايس ١٩٧٥ وهذا نصه :
« راي العقاد بشعر الصافي النجفي . ورد في الكتاب الغراء ، العدد ١٢ السنة الاولى ص ١١٤ ــ ١١٥ في موضوع (جولة مع الصافي النجفي) للاستاذ سلمان هادي الطعمة ما يلي :

(... بعد ذلك قال لي معن العجلي الاديب العراقي اجتمعت بالاستاذ عمار العقاد ــ عامر ــ ابن اخ عباس محمود العقاد فقال لي : لقد ترك العقاد كتابا مخطوطا عن الصافي ...)

ولما كان الاستاذ عامر العقاد على اتصال دائم بي ومن الذين اعتز بصداقتهم ، قررت زيارته والتعاون معه على اخراج هذا السفر عن استاذنا الكبير الصافي ، ولا سيما ان الاستاذ العقاد نائب على نشر واعادة طبع مؤلفات عمه المرحوم العقاد ، فاجاب مشكورا : ان الاستاذ العقاد كان معجبا بشعر الاستاذ الصافي النجفي وكان يطريه دائما في مجلسه ، كما كتب عنه على ما اتذكر في مجلة الرسالة والبلاغ ، ولكن ليس هناك مؤلفا او مقالا مخطوطا في هذا الموضوع ، وعليه اقتضى ذكر ذلك .)

مضت ضجة الاشعار قرنا من الدهر
تعادت هدوءا دونه هدأة القبر
فأين ضجيج المهرجانات معليا
هتافا يصك السمع يمينه بالوقر
فليس سوى الشعر القديم بعائش
وما غاب عنه اليوم في عصرنا الدري
يؤم صنوف الباحثين زويتي
وقد كنت اهوى أن أرى خامل الذكر
ظننت بسيط اللبس يخفي اشعتي
ويمنع كهفي نور نفسي من النشر
وهيهات ان يخفي سنا عبقرية
حجاب لباس او حجاب من الصخر

وحدثني الصافي قائلا : انه لم يكن له من قصائد الرثاء سوى قصيدة واحدة رثى بها صديقه رئيف خوري الاديب اللبناني المعروف ، وهي من اروع قصائده .

وبينا نحن جالسين على البحر ، مستمتعين بمنظره الخلاب ، تواردت الى ذهنه المقولة الآتية : نشرت مجلة ـ الاسبوع العربي ـ مقالا في اربع صفحات عن الصافي ، وهذا نصه : ينتقي الصافي الاماكن الجميلة على البحر ، فله حسن ذوق في ذلك . والقصيدة التي قلتها في وصف المكان نشرت في ديواني (الحان اللهيب) بعنوان (المعاني والغواني) وهي :

شغلت فكرتي حسان المعاني
وهوت مقلتي حسان الغواني
المعاني تجتني سائرات
ليت عند الحسان ذوق المعاني
اتعاوت اذن علي ذئابا
انتقيها مثل المعاني الحسان
واذا ما انتقى المكان جميلا
كانتقاء المنى الرفيع الشان
واذا ما حللت شر مكان
فهو حكم القضا وشر زمان
مد هذا الوجود مثل خوان
ضم ما شاء من صنوف الامان
ينتقي اللب منه كل لبيب
والبقايا تلف كالعميان
انا لا استطيع دل حبيب
لي من الكون الف الف دان
ابصر الحسن في مظاهر شتى
لا يراها نواظر الخلان

طفح القلب فوق عيني فافضى
ناظري مبصرا بعين جناني
ان من لا يرى بقلب بصير
لهو اعمى عكازه عينان

* * *

في يوم الجمعة الموافق ١٩٧٧/٣/٤م قصدت دار الشاعر العراقي المعروف السيد احمد الصافي النجفي الكائنة في المنصور ببغداد بمعية الصديق الشاعر خضر عباس الصالحي ، واغتنمتها فرصة ثمينة ، حيث كان شوقي للقائه شديدا ، بعد عدة لقاءات في لبنان . ولكن الذي حز في نفسي وآلمني كثيرا انني وجدت الصافي خلال الزيارة في حالة صحية سيئة ، اذ كان طريح الفراش ، لا يقوى على الجلوس . وبعد ان رحب بي ، طرحت عليه بعض الاسئلة ، فاجاب عنها مشكورا :

س١ : منذ عودتك الى العراق ، تابعنا اخبارك في المجلات العراقية مثل (الف باء) و (الاذاعة والتلفزيون) ولكننا لم نقرأ شعرا جديدا لك ، ما هي الاسباب التي دعت الى ذلك ؟

ج١ : لدي الآن خمسة عشر ديوانا ، خمسة منها مخطوطة ، وقد استلمتها مني وزارة الاعلام العراقية ، وتكلفت الدكتور جلال الخياط بالاشراف على طبعها وتحقيقها ، وهذه الدواوين ١٤ر٥ ديوان انتاج سوريا ولبنان طيلة ٤٦ عاما ، والنصف الباقي فان ربعا منه انتاج ايران ، وربع انتاج العراق قديما . اما الاشياء التي استجدت خلال الاربعة اشهر هي ٤ صفحات تقريبا . وآخر ما جاءني من قبل شهرين هذه القطعة :

اقعدني السقم وروحي في الفلك
ولي شعاع يمحي منه الحلك
سير قلوب الناس ربي لي كما
سيرت في شعري قلوب الناس لك
لست نبيا كالنبي سيرتي
وآدمي عيشه عيش ملك
سوف تكذب العصور سيرتي
بغربة فيها اذا شخصي هلك
فليس لي مسجلا منلفزا
يعرضني فيه لدفع كل شك

ويظهر ان مناخ العراق القاسي لا يتفق مع مزاجي ، واعتقد ان السبب في ذلك ان امي لبنانية ، وقد ورثت منها المزاج اللبناني ، في حين ان اشقائي لم يرثوا المزاج اللبناني ، وان شقيقتي الكبرى

ورثت المزاج اللبناني ، فكانت تقضي ايام الصيف كلها في سرداب السن بالنجف .

س٢ : كيف تجد العراق وقد فارقته منذ اربعين عاما او يزيد ؟

ج٢ : لا شك ان العراق اليوم فيه نهضة ادبية علمية حضارية توجيهية ، ويكفي ان وزارة الاعلام تفتش عن آثار الادباء لحفظها وتقديمها للطبع . ومما جرى في ذلك انني ذكرت للسيد صدام حسين نائب رئيس الجمهورية عندما زارني في بيتي يوم ١ ايار ١٩٧٦ واستمرت الجلسة ساعة واحدة ، تكلمت عن الدواوين الخمسة ، فقال نريدها لوزارة الاعلام ؛ فقلت له اقدمها وانا لا آخذ ربما ، ولكن اقدم ريعها الى الجيش العراقي لينفقها على مراكزه الثقافية . ومنذ يومين جاءني الدكتور جلال الخياط من قبل الوزارة المذكورة ، فقدمت له دواويني الخمسة ولكنها غير مفصولة عن بعضها، وهي تضم ٥٠٠ صفحة كل ١٠٠ صفحة منها تكون ديوانا ، وهذه الدواوين هي :

١ ــ شباب السبعين .
٢ ــ بلا اسم .
٣ ــ تمرد المشيب .
٤ ــ كما جاء .
٥ ــ المطعم .

س٣ : ما هي اهم مشاريعك الجديدة التي تنوي انجازها ؟

ج٣ : ليست لدي الان مشاريع جديدة ؛ غير اني انتظر دقائق موتي ، لان صحتي تنهار يوما بعد يوم ، والسبب في ذلك هو مرضي الشديد .

س٤ : هل يمكننا ان نتعرف على المرض الذي اصابك ؟

ج٤ : ان مرضي عبارة عن التهاب في الامعاء ، وهذا يحتاج الى راحة فحياتي ضد الراحة ، ولذلك ترى عندي اضطرابا شديدا في المعدة ، وقد استفحل المرض خلال الاربعة اشهر الاخيرة . ولهذا السبب فان الراحة مفقودة .

وقبل ان اختتم هذا اللقاء يجدر بي ان انقل لقاء طريفا اجراه الاستاذ عبدالقادر البراك مع شاعرنا الصافي عند التقائهما بدمشق ، ونشر في مجلة (المكتبة) البغدادية الصادرة في تشرين الاول سنة ١٩٦٢ ، وذلك لما فيه من لمحة تاريخية عن حياة الشاعر . قال الصافي للبراك :

وعندما كنت اسكن النجف ، كنت ارسل بمقطوعاتي الشعرية للصحف العراقية ، فتتسابق بنشرها والتعليق عليها واكبار شخصي واحاطتي بقلائد من المديح والثناء ، كما ان عشرات الصور بل اكثر من ذلك نشرت لي ، ففكرت انني اذا سافرت الى بغداد فسيكون يوما مشهودا لي احاط فيه بالتكريم والاعجاب خاصة بعد ان عرفني الجمهور البغدادي كله بصوري وشعري .

وسافرت الى بغداد وكان السفر في ذلك الزمن مضنيا ، حيث اقلتني مع المسافرين عربة قديمة تجرها الخيول الهزيلة ، وتتوقف بعدة اماكن في الطريق . وكانت نقطة وقوف العربات الآتية من النجف الى بغداد في ذلك الوقت هي (علوة المخضر) في الشورجة ، وكانت الساحة امام هذه العلوة غاصة ببيع وشراء الحمير كما عرفت بعدئذ ، وعندما نزلت من العربة منهك القوى تعبا جلست في قهوة محاذية للعلوة افكر بالاستقبال الضخم الذي سالاقيه واتفرس في الوجوه متطلعا ومترقبا ، واذا بشخص ياتي مسرعا ويجلس بجانبي على (التخت) فيسلم ثم يبسم في وجهي ، فطربت في سري وقلت هذا اول الغيث . التفت الرجل وسالني :

جنابكم من النجف .
نعم .
اشلون سعر الزمايل عندكم ؟
غالية هوايه مدا تشوفني جاي لبغداد

وهربت من المقهى لاركب اول عربة تعيدني الى النجف ختاما ودعنا الشاعر الصافي ورجونا له العمر المديد والصحة التامة(١٥) .

* * *

عاد الصافي الى وطنه العراق من بيروت مساء يوم الخميس ١٩٧٦/٢/١٩م بعد اصابته برصاص الانعزاليين خلال الحرب الاهلية الدامية التي دارت رحاها في لبنان ، استجابة لطلب حكومتنا الثورية ، وواصل علاجه في مدينة الطب على حسابها حتى شفي من جروحه بعد ان مكث فيها طيلة اثنين وعشرين يوما . ثم هيا له ابن اخيه الدكتور علي الصافي دارا بالمنصور .

وبتاريخ ١٩٧٧/٦/٢١م نقل الصافي ثانية الى

---

(١٥) استفدت من مقالة (ايام الصافي الاخيرة) بقلم الاستاذ جعفر عباس الصالحي المنشورة في مجلة (صوت الاسلام) الكربلائية ، العدد ٧ و ٨ للسنة الخامسة ص ٨٥ .

مدينة الطب ، وكان قد اصيب بانفجار في الدماغ وتصلب الشرايين وتخثر الدم . وفي يوم الاثنين الموافق ١٩٧٧/٦/٢٧م انتقل الصافي الى دارالخلود واستأثرت به رحمة ربه وذلك في الساعة الثانية عشرة والربع ظهرا . وفي الساعة العاشرة من صباح يوم الثلاثاء المصادف ١٩٧٧/٦/٢٨م جرى له تشييع فخم حيث تقاطر المسؤولون في وزارة الاعلام ، الى جانب الشخصيات الادبية على جامع برانا الكائن في جهة الكرخ ، بما يدلل على جوانب عظمته والخسارة الفادحة التي منينا بها ، وخدمته للثقافة العربية والجيل العربي . ومن جامع برانا نقل جثمان الشاعر الخالد الى محافظة كربلاء . وفي مدينة كربلاء استقبله ادباؤها ومفكروها وخدمة الروضتين المقدستين بما يتناسب ومكانته ، وطافوا بنعشه حول مرقدين الامام الحسين واخيه العباس عليهما السلام . وبعدها استراح المشيعون في فندق كربلاء السياحي لتناول طعام الغذاء ، ثم عادوا لمواصلة السير الى محافظة النجف الاشرف . وفي مدينة النجف جرى للفقيد تشييع حافل شارك فيه الموظفون ورجال الدين وجمهور غفير من المثقفين

وصدر عن جمعيتي الرابطة الادبيةوجمعيةالتوجيه الديني بيانان ينعيان الفقيد الصافي . كما ابّنَه احد العلماء الافاضل بكلمة بليغة ارتجالية في الصحن الشريف الحيدري . وهكذا طاف المشيعون به مرقد الامام علي بن ابي طالب عليه السلام ، ودفن في مقبرة الاسرة بمحلة العمارة .

وقد نعت الصحف العراقية وفاته بما يلي :

الشاعر احمد الصافي النجفي في ذمة الخلود

انتقل الى رحمة الله تعالى شاعر العرب الكبير الاستاذ احمد الصافي النجفي عم السادة الدكتور علي وعبدالعزيز وحسين وفائك ومحمود ويحيى وفلاح والدكتور محمد واخوانهم وابن عم السيد عبد الوهاب ، وسيشيع جثمانه الطاهر من جامع برانا في الساعة العاشرة من صباح يوم الثلاثاء المصادف ٢٨-٦-١٩٧٧ الى النجف الاشرف ويقام مجلس الفاتحة على روحه الطاهرة في نفس الجامع المذكور اعتبارا من يوم الاربعاء المصادف ٢٩-٦-١٩٧٧ من الساعة الخامسة حتى الساعة التاسعة .

وصدرت عن ادباء كربلاء البرقية التالية :

ادباء كربلاء ينعون شاعر العرب الصافي النجفي

بمزيد من الاسى والاسف ينعى ادباء كربلاء احد اعمدة الشعر العربي ذلك هو الشاعر العرب الكبير السيد احمد الصافي النجفي الذي عرفته الاوساط الفكرية شاعرا برهن على سمو مقامه في الادب العربي بعد حياة حافلة بالنضال المرير والتضحيات الجسام . رحم الله الفقيد وعوض دولة الشعر هذه الخسارة الفادحة ، وانا لله وانا اليه راجعون .

لقد شغل الصافي اذهان الادباء والشعراء والصحافة في كل مكان ، فتناولوا حياته وادبه بالدرس والتحليل ، وهذا دليل عظمته وقوة شخصيته ومكانته في عالم الشعر .